

دار الحديث للنشر والتوزيع

تقديم لك

# الطريق إلى الله تعالى

للإمام الحجة

السيد محمد باقر الخليلي

استاذ الشريعة الإسلامية بجامعة الخرطوم

طبع بإذن من

الهيئة العامة للإعلام

الرياض بالسعودية

اهداءات ٢٠٠٢

أ.د/فتح الله أحمد مسيحه

الاسكندرية

دار المعلمين بالندوة

تفصيل

الطريق إلى  
الله

للإمام أحمد

المجلد الثاني من أعماله

استاذ الشريعة الإسلامية بجامعة القاهرة سابقا

طبع في

شعبة الطريقة المرقية

المنشور في سنة ١٤٠٥ هـ

الطبعة الأولى



جميع حقوق  
الطبع والنشر والترجمة والاقتباس والتصوير  
محفوظة  
لدار المدينة المنورة  
التابعة  
لمشيخة السادة العزمية ١١٠ ش مجلس الشعب - القاهرة  
طباعات الكتاب  
الطبعة الأولى : ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م  
الطبعة الثانية : ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م

## بسم الله الرحمن الرحيم الإهداء

إلى روح أم آل العزائم التي أدت الأمانة .  
إلى روح أم آل العزائم التي وفّت بعهد الله .  
إلى روح أم آل العزائم التي أحسنت الكفالة .  
إلى روح أم آل العزائم التي صبرت في ذات الله .  
إلى روح أم آل العزائم الراضية المرضية المتقية النقية .  
إلى روح أم آل العزائم التي جاهدت حتى أتاها اليقين .  
إلى روح أم آل العزائم التي مضت على الإيمان طاهرة زكية .

نهدي كتاب : ( الطريق إلى الله تعالى )

فرضي الله عنها ، وجعل الجنة منزلها ومأواها ، وسلام عليها  
وعلى روحها وبدنها الطاهر .

# بسم الله الرحمن الرحيم

## فاتحة الكتاب

الحمد لله عماد من لاعمد له ، وذخر من لاذخر له ،  
وحرز من لاحرز له ، وعز من لا عز له ، وغياث من  
لاغياث له ، وسند من لاسند له ، وكنز من لاكنز له ،  
والصلاة والسلام على حامل لواء الحمد ، وإمام الرسل  
والأنبياء ، الشفيع المشفع ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من  
أتى الله بقلب سليم ، سيدنا ومولانا محمد ، وعلى آله - أعلام  
الهدى ، وأهل التقى ، سادات أهل الجنة أجمعين ، وشفعاء  
يوم الدين ، وأئمة أهل الأرض على اليقين - وعلى صحابته  
المهادين المهديين . ورضى الله تبارك وتعالى عن إمامنا  
الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبى العزائم ، ونضر الله وجه  
خليفته الأول الإمام الممتحن السيد أحمد ماضى  
أبى العزائم ، آمين .  
وبعد :

فتقدم دار المدينة المنورة وهى إحدى الهيئات التابعة  
لمشيخة السادة العزمية ، الطبعة الثانية من كتاب :

« الطريق إلى الله تعالى » للإمام المجدد السيد محمد ماضى  
أبى العزائم ، وهو يضم سلسلة المحاضرات التى كان يلقيها.  
الإمام المجدد رضى الله عنه ، والتى قامت مجلة المدينة المنورة  
بنشرها .

وقد قامت دار المدينة المنورة ، بجمع هذه المحاضرات  
وتبويبها ، حتى بدت فى هذا الكتاب الذى بين يدى  
القارئ المسلم .

وهذا الكتاب حلقة جديدة ، تساهم - مع ماسبق من  
كتب الإمام رضوان الله عليه - فى بيان الطريق إلى الله  
تعالى ، وكثائف الجهالات التى عليه ، والآداب التى يجب أن  
يتحلى بها السالك .

إن أساس الطريق إلى الله هو محبة الله تعالى إعظاما  
وإجلالا ، ومحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما  
وانقيادا ، وإيثار كل مسلم على نفسه بأن يحب له ما يحبه  
لها ، ويؤثره عليها فى الخير ، لأننا جمعنا الله تعالى لنجدد  
ماخفى من معالم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم علما  
وعملا وحالا ، ولنحيى ما اندرس من أنوار كتاب الله تعالى  
علما وشهودا وتسليما ورضاء ، ونعيد الماضى بما كان عليه  
سلفنا الصالح نفعنا الله بهم . ليكون الله تعالى معنا وعندنا .  
ونكون مع الله تعالى وعنده سبحانه .

إن من أعظم الواجبات على عاتق الهيئات الإسلامية

التي تدعو إلى الطريق إلى الله تعالى ؛ أن تخلص نياتها ، وتنزه أساليبها في الدعاية إلى مبادئها ، عن كل مايورث الوهن والفشل ، ويؤدى إلى الفرقة في صفوف المسلمين ، وأن تتقى الله فيما تقول ، ولا تكتم الحقائق ، ولا تنشر الأباطيل ، ولا تعتمد فيما تنشر من كتب - لشبابنا المسلم - على الزور والبهتان ، والافتراءات الظالمة التي تؤدى بشبابنا إلى الضلال ، وإثارة العصبية البغيضة الممزقة لجسم الأمة الإسلامية ، والفرقة للجماعة ، والدافعة للجهلاء على تنمية التباض والصدام .

كما يجب على هذه الهيئات الإسلامية التي تدعو شبابنا إلى الطريق إلى الله تعالى ، أن تنتهج أسلوب الأنبياء عليهم السلام ، في المناقشة والجدال ، والدعوة إلى الحق ، على ضوء ما أدبنا الله به في كتابه العزيز حيث قال عز اسمه :

﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾<sup>(١)</sup>

وقوله سبحانه : ﴿ اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾<sup>(٢)</sup>

فأحرى بها أن تتبع هذه الآداب عندما تدعو شبابنا إلى الطريق إلى الله تعالى ، لتحاول اجتذابهم إليه . وإن كان

(١) سورة العنكبوت آية ٤٦ .

(٢) سورة النحل آية ١٢٥ .



لابد من المناقشة في المسائل الخلافية بين المسلمين : فيتعين عليها أن تبتعد عن الغلط في القول ، وأن تنزه ألسنتها التي تزعم الدعوة إلى طريق الله عن أساليب الشتم والسب والفحش والافتراء ، فلا تجيز الحكم بضلال أحد ، أو فسقه ، فضلا عن شركه وكفره ، لمخالفته في أمر اجتهادي ليس من ضروريات الدين ، ولا يجوز معارضته وممانعته ، واتهامه أنه من أهل البدعة ، لإجباره على اتباع قول غيره مما يخالف اجتهاده .

فالداعى إلى الله يجب عليه أن يتحلى باللين واللطف ، المستند على العلم والمعرفة ، وحمل أقوال المسلمين وأفعالهم على المحامل الصحيحة ما أمكن ، والاجتناب عن المزاعم والظنون الباطلة ، ومتابعة الهوى ، والعصبية الممقوتة . وصدق الله العظيم حيث يقول : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ (١) .

يقول الإمام ابو العزائم رضى الله عنه في نصائحه لإخوانه : ( إخوانى : اتقوا الله فى عباده ، وعليكم أنفسكم ، فاجلّوا مرآة قلوبكم بعمل القلوب ، واشتغلوا بذنوبكم ، فإنكم محاسبون عليها لا على

---

(١) سورة الإسراء آية ٣٦ .

ذنوب غيركم ، وارحموا عباد الله تعالى ، ذكروهم  
بالحسنى ، عظوهم باللين ، أعينوهم بفضل أموالكم  
وجميل كلامكم ، وأحبوا لهم ما أحببتهم لأنفسكم ) .

إن دعوة الإمام أبى العزائم لتستعيز بالله من المنتحلين  
للعلم والإرشاد ، ممن لا يحمل سلاحا للدفاع عن آرائه إلا  
الشم والافتراء والمغالطة ، وتسميم شبابنا المسلم بغير علم ، بل  
على خلاف العلم ، وكأنهم لم يسمعا قول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا  
يَفْتَرِى الْكُذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ  
وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَذِبُونَ ﴾ (١) .

كما تستعيز دعوة الإمام أبى العزائم من كُتَّاب يُؤثِّرون  
خصائصهم الطائفية على الأخوة الإسلامية ، فيؤيدون  
شذوذهم الفكرى بما يذهب بوحدة الأمة الإسلامية .

وإننا لنسأل هذه الهيئات الإسلامية : ماذا تقصد من  
كتابات المملوءة حقدا على التصوف والصوفية وأولياء الله  
الصالحين ؟ غير تشويه جوهر الإسلام بتشويه التصوف فى  
أعين شبابنا ، ومعاداة أولياء الله الصالحين .

يقول الإمام أبو العزائم قَدَّسَ سِرُّهُ : ( الصوفية هم  
الذين صفت قلوبهم من شوائب الكون ، وتطهرت

---

(١) سورة النحل آية ١٠٥ .

نفوسهم من رجس الشهوات ، وتعلقت همهم بالله تعالى ، ففنعوا عن كل ما سواه ، ووجهوا وجوههم شطره ، لم تحجبهم الكائنات عن شهود مبدعها ، ولم تشغلهم الآيات الجليلة عن فهم إشاراتها وذوق معانيها ، هم عبيد الله السائرون على منهج نبيه ﷺ ، وهم الذين تلقوا أسرار التوحيد وأنوار الحكمة ، بقلوب واعية ، ونفوس صافية ، عن العلماء العارفين بالله ، ورثة رسول الله ﷺ ) .

فالتصوف هو الجهاد في أعلى ذراه ، والعلم في أقصى موارده ، والخلق في أعلى مثله ، والإيمان في أسمى أنواره وإشراقاته ، أما أولياء الله الصالحون فقد تكفل المولى سبحانه بحمايتهم في قوله تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> وفي قول رسول الله ﷺ : « مَنْ آذَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَتُهُ بِالْحَرْبِ ... » <sup>(٢)</sup> .

أما كان أخرى بهؤلاء - عوضا عن بث هذه السموم - أن يكتبوا حول الإسلام ، وبيان عظمتهم ، وحقائقه السامية ، ومفاهيمه الراقية ، ليجذبوا إليه هذه الأجيال

(١) سورة يونس آية ٦٢ .

(٢) رواه أبوهريرة واللفظ : ( من عادى ) رواية البخارى .

التائهة ، خصوصا فى عصرنا المادى هذا ؟ أو أن يكتبوا الحقائق التى تقرب بين صفوف المسلمين ، وتؤلف بين مختلف المذاهب الإسلامية ، وبذلك يكونوا قد أدوا ماأوجبه الله عليهم من الدعوة إلى طريق الله بالحكمة والموعظة الحسنة .

إن كتاب : « الطريق إلى الله تعالى » يرشدك إلى الصراط المستقيم ، الذى يتعين على شبابنا المسلم أن يسلكه ، ولا يتبع السبل التى تبعده عن هذا الصراط المستقيم .

ولأخلى بينك وبين الكتاب ، سائلا المولى سبحانه وتعالى أن يجمع شمل الأمة الإسلامية ، ويلم شعشها ، ويرتق فتقها ، وينصرها على القوم الكافرين .

مشيخة السادة العزمية  
شيخ الطريقة العزمية  
السيد عز الدين ماضى أبوالعزائم  
المهامى بالنقض

فى يوم الخميس  
٢٨ ربيع أول ١٤٠٥ هـ  
٢٠ ديسمبر ١٩٨٤ م

# الباب الأول

## الطريق وآدابه

### حكمة الخلق

#### الإخلاص في العبادة :

هذا هو مبحث المباحث الذى تجب العناية به ، وهو المقصود بالذات من كل مواضعنا هذه ، لأن الله جل جلاله ما خلق الخلق إلا لحكمة واحدة ، هى عبادته بإخلاص ، وقد يسر لهم كل ما يحتاجون إليه فى حياتهم الدنيا مع المزيد .

فأجرى لهم الأنهار ، وأنزل لهم الأمطار ، وخزن لهم الماء فى بطون الأرض ، وهو العنصر الوحيد لحفظ حياة كل حى من نبات وحيوان وإنسان ، فمنح الله الإنسان الماء أكثر مما يحتاج إليه . ولكثرته انصب فى البحار الملحة ، حتى يعلم الإنسان أن الله تعالى رزقه أكثر من كالياته .

وخلق له الهواء وجعله معه حيث كان ، حتى فى قاع البحار ، وفى مغارات الجبال ، فغمر كل مكان خال بالهواء .

وخلق النور والحرارة كذلك . وجعل الأرض كلها كنوزا للإنسان يفتتحها بأقل عمل . وجعل له سبحانه في كل حركة يتحركها بركة . إما عاجلة له في الدنيا ، وإما آجلة له في يوم القيامة .

ومن ساح بفكره في نفسه وفيما أحيط به ، ينقلب إليه فكره خاسئا وهو حسير . عاجزا عن حصر ما شاهده من أنواع النعم التي لاتحصى ، والمتن التي لاتستقصى ، معترفا بما أنعم عليه الله من الفضل العظيم . وما أوصله إليه من الخير العميم ، ولكن قتل الإنسان ما أكفره . هذا ما يمكن للفكر أن يكشف به من أنواع الخيرات ، وكيف بما هو فوق ذلك من خفى الألطاف ، وسريع الإسعاف ، وجلى العناية ، وعظيم الهداية ، وواسع الإحسان وخير الحنان ، فسبحان من لا يعلم قدره غيره ، ولا يبلغ الواصفون وصفه .

**بادرة ما يلوح لمن تفكر في نفسه وفيما حوله :**

كل تلك الخيرات المتوالية ، والبركات المفاضة بالفضل والإحسان ورضا الله عنا ، بعد أن تفضل بها علينا ، توجب أن نشكره عليها ، فإذا وفقنا وشكرناه : وهب لنا مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر . من الفيض الأقدس الذى يواجه به أرواحنا ، ومن الأنوار التي

يجعلها في قلوبنا ، ومن العناية منه سبحانه بتوفيقنا لمحابه ومراضيه ، حتى نكون كأنا معه سبحانه ، ويكون جل جلاله معنا في هذه الحياة الدنيا ، فتكون لنا العزة بالله تعالى .

ثم بعد أن يتفضل علينا بهذا الفضل العظيم ، ينسبه إلينا وهو الفاعل المختار ، ويتقبله منا كأنا أوجدناه وأحدثناه بقوة منا - ولا حول ولا قوة إلا بالله - في كل شأن من الشؤون . وهذا فضل على فضل . ثم يتفضل سبحانه بما هو أجل وأعظم ، فينعمننا بجوار قدسه بالملك الكبير ، ويؤنسنا على بساط منادمته ، وموائد كرامته ، حيث الحبور الذي لا يصفه الواصفون ، والمسرات التي لا تقى بها عبارة ولا إشارة ، فسبحان ذى الفضل العظيم .

تفضل سبحانه فأوجد الإنسان ، ثم تفضل فوهبه الخير العظيم ، ثم تفضل فهداه الصراط المستقيم ، ثم تفضل فنسب إليه هذا العمل الصالح ، وهو الذى خلقه فيه ، وأعاناه عليه ، ثم تفضل فجازاه خير الجزاء اللائق بذى الفضل العظيم ، فله الحمد ملء السموات والأرض ، وملء ما شاء من شىء بعد .

فهذه بادرة مايلوح لمن ساح بفكره في نفسه وفيما

حوله ، فكيف بمن ساح في ملكوت الله الأعلى ، مقتبسا طرائف العرفان ، وأنوار الإحسان ، من مشكاة الأنوار الحمديّة ؟ !

إلى هنا يقف العقل ، وتخرس السنة العبارات ، وتسكن أعضاء الإشارات . قال الله تعالى : ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ <sup>(١)</sup> وقال سبحانه وتعالى لحبيبه ومصطفاه : ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ <sup>(٢)</sup> .

### التفكر في سوايغ النعم :

إذا حصّل المريد بخياله صور الكائنات ، وما بها من سوايغ النعمى ، وجزيل الآلاء ، وواسع الفضل العظيم ، وتجلّت له آيات الله مشرقة في نفسه وفي الآفاق ، وانتقشت تلك الصور على جوهر نفسه ، فتعقلها عقله ، وتدبرها قلبه ، فشعر القلب بأن تلك المواهب العلية ، والكنوز الكونية ، التى ملئت خيرا له وبركات ، لا يحصيها عدا ، ولا يستقصيها حدا ، لم تخلق عبثا ، ولم تترك سدى ، وتحقق أن مبدعها القادر الحكيم ، وخالقها القوى العليم ، ماتفضل بها سبحانه إلا لحكمة أجلاها للبصائر ، وسر كاشف به

(١) سورة الإسراء آية ٨٥ .

(٢) سورة طه آية ١١٤ .



الضائر ، وآيات أجلاها للعقول ، ولا تخفى على إنسان كائن من كان ، ولكن الأهواء والحظوظ والتقليد هى التى جعلت الإنسان يجهل الطريق الموصل إلى الحكمة ، والسبيل المبين لها .

والحكمة عبادة الله تعالى ، والإخبارات لعظمته جل جلاله ، والتحقق بأنه هو الله لا إله إلا هو ، وأن الإنسان عبد أكرمه الله بعظيم فضله ، شديد الاضطراب إلى مولاه ، دائم الافتقار إليه جل جلاله ، وأن مولاه سبحانه هو الغنى المغنى ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ ﴾ (١)

### العبادة دليل على محبة الله :

فإذا تجلت تلك الحقيقة ، سارع المؤمن إلى العبادة بأنواعها فى أوقاتها ، فيؤديها بأدائها ، فيحافظ عليها دائما ، فإذا وفقه الله تعالى للقيام بما أمره به وترك ما نهاه عنه ، تجلت له حكم تلك الأحكام ، وأسرار تلك الأعمال ، فعلم قدر نفسه ، ونسبته إلى الكائنات ، وظهر له جليا أن الكون وما فيه سخر له من الله سبحانه وتعالى ، فأحب الله

---

(١) سورة الناريات ٥٦ - ٥٧ .

بكل قلبه لما تفضل به عليه ، حبا يجعله منجذبا إلى الله بالكلية ، قال ﷺ : « أَحِبُّوا اللَّهَ لِمَا يَغْنُوكُمْ بِهِ مِنَ النِّعَمِ ، وَأَحِبُّونِي لِحُبِّ اللَّهِ ، وَأَحِبُّوا آلَ بَيْتِي لِحُبِّي »<sup>(١)</sup> ثم يقوى حبه لله ، ويشتد شوقه إلى الله تعالى ، فتحصل له الرغبة في القيام بنوافل الخير بعد عمل الواجبات ، من ذكر وفكر ، وخشوع وإخبات ، وخوف ورجاء وخشية من الله ، ورهبة ورغبة . وكلما أشرقت له أنوار الحكمة فيما قام به من الأحكام بتوفيق الله وهدايته : تجلت له أنوار الربوبية في نفسه وفي الآفاق ، فنا شوقه ، وزاد غرامه ، حتى تصغر في عينيه الدنيا ومافيها ، إلا ذكر الله وما والاه ، فينجذب لأهل التقوى والصلاح ، وصحبة العلماء الربانيين ، ويفر من كل ما يشغله عن هو موجه وجهه إليه ، ولو كان والدا أو ولدا أو مالا ، خوفا من حجه عما يواجهه من جميل الآيات ، وما ينبج له من الأنوار في الكائنات ، حتى قد يبلغ به الأنس بمشاكليه والبهجة بنظرائه ، مبلغا يجعل الغريب البعيد المخالف له في لونه ولغته أحب إليه من أبنائه ووالديه ، وقد يبدل ماله ونفسه في رضائه ، أنسه بجلوسه معه ، أنس بمن هو موجه وجهه إليه ، ونفس أنس بمشاهدة أحب إليه من الدنيا ومافيها .

---

(١) الترمذى في المناقب والمستدرک فی فضائل أهل البيت .

## الطريق

### تعريف الطريق :

الطريق هو السبيل ، ومأخذه عند الرجال من قوله تعالى : ﴿ قَالُوا يٰقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾<sup>(١)</sup> وهو في اصطلاح أهل السلوك إلى ملك الملوك : محو ما بينك وبين الوصول إلى مقصودك . فالسالك إلى نيل قصده يترك وراءه آثارا كثيرة ، حتى يحو كل يئسٍ يحجبه عن مقصده ، ولذلك فالسالك في طريق الله تعالى ينسلخ من كل ما يحجبه عن الحق جل جلاله ، حتى ينحى البين من البين ، وتقع العين على العين ، إما مراقبة ، أو رعاية ، أو شهودا ، أو طمأنينة قلب في مقام اليقين الحق ، بعد مراتب اليقين علما وعينا .

### الطريق وما أدراك ما الطريق :

بغية السعداء المنشودة ، وطلبة من سبقت لهم الحسنى . المقصودة ، تشاق إلى علم الطريق وبيان معالمه النفوس

---

(١) سورة الأحقاف آية ٣٠ .

الزكية ، متسلية عن الجاه والمُلك ، رغبة في تحصيل هذا العلم ، ومسارة إلى طلب الدال على الله باليقين الحق .

### كثائف الجبهالات على الطريق :

ولما كانت معالم طريق الله تعالى ، والأنوار التي تبين سبل الله تعالى - مع وضوح دلالة الآثار المشهودة عليها - قد عميت عنها عيون الحس ، وجهلتها قوى النفس ، وتسلت عنها العقول بما اعتراها من الحجب ، بالمسارة إلى نيل حظوظ النفس والجسم ، انكسفت أنوار العقول ، وخفيت معالم الطريق إلى الله سبحانه وتعالى ، إلا بوازع قوى يجذب الأرواح بعالم رباني ، يبين أسرار كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، أو بعصبة ذات شوكة وسلطان وغيره لله ورسوله ، تقهر الأجسام التي حجبت الأرواح والعقول بمقتضياتها عن السير على الصراط المستقيم ، حتى تستريح العقول والنفوس ، فتنفذ بقوة هذا الوازع من كثائف الجبهالات ، وتنهج على المنهج الحق .

ولديها تسلّم لله رب العالمين ، فتحصل اليقظة للقلب بعد نومة الغفلة ورقدة الجبهالة ، وتحصل التبصرة للإنسان بعد علم مبدئه ومعاده ، فيشتاق إلى السير إلى الله تعالى ، والسلوك على طريق أئمة الهدى المهتدين ، ويبحث عن

الوسائل التي تبلغه تلك المقاصد العلية ، فإذا تآقت نفسه بعد اليقظة والتبصرة ، كان من أهل طريق الله تعالى ، وتحقق بالإسلام الذي هو التسليم لله شرعا وقدرًا ، ويسارع إلى تعلم العلم الذي لا بد له منه ، وإلى صحبة أهل الخير والتقوى ، لأن الحس يريد النفس ، والمعاشره مجانسة ، ومن أحب إنسانا غلب عليه طبعه ، قال ﷺ : « المرء مع من أحب »<sup>(١)</sup> .

بم ساد أهل الطريق ؟ :

فأهل الطريق رضى الله عنهم لا يصغر في أعينهم الفقير الذليل مادام على الحق ، ولو قرأت تراجم من سادوا في عصورهم لرأيت أغلبهم من العبيد ، أو من الأذلاء والموالي ، أو من أهل المهن الدنيئة .

بم عزوا وبم سادوا ؟ بما أظهره الله تعالى على ألسنتهم من الحكمة ، وما وهبه لهم من الحب له وفيه سبحانه ، وبما وفقهم له من العمل بما علموا ، فصاروا عظماء - حتى في قلوب العصاة والفسقة - لما أظهره الله عليهم من أنوار محبته ، فترى الفاسق الفاجر الجبار العنيد ، إذا رآهم يخشع قلبه ، ويتذلل أمامهم ، ويسألهم الدعاء له ، وهم في شظف

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ج ٤ ص ٤٠٥ .

العيش ، ورداءة الثياب ، وخشونة الظاهر . ولا ترى أحدا يعادهم إلا عليم اللسان جهول القلب ، أو معاندا للحق خبا لثيا ، لا يؤمن بيوم الحساب .

كفاهم شرفا أن الله تعالى ألقى عليهم محبة منه سبحانه ، فأحبهم الأميون والعامّة والصبيان والنساء ، وهى سنة الله فى أوليائه الذين ورثهم أسرار أنبيائه ، ولعلك قرأت قوله تعالى : ﴿ وَمَا نُرْسُكَ أَتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّئَارِنَا بَادِي الرّأْيِ ﴾<sup>(١)</sup> ولعلك قرأت حديث البخارى فى باب الهجرة عندما أخرج كفار قريش سيدنا أبا بكر رضى الله عنه ، وجاء ابن الدغنة لينعمهم من إخراجهم ، فقالوا : إنا نخشى على نساءنا ، لأنهن يجتمعن عليه ، ويبكين بيكائه ، ويجتمع عليه الصبيان والبسطاء ويبكون معه عندما يرتل القرآن باكيا . ذلك لسلامة قلوب العامة ، وصفائها من درن الحظوظ والأهواء وحب الدنيا .

### منازلات المريدين :

ولا يزال المريد يقوى حاله وينمو ، حتى يرى أنفاسه أنفس من النفائس ، ووقته أعز عليه من نفسه ، فيبخل أن ينفق نفسا واحدا فى غير منازلة من منازلته ، وللمريد

---

(١) سورة هود آية ٢٧ .

منازلات في مشاهدات التوحيد ومشاهد العبادات ، أبين لك مايمكن أن يسطر على الأوراق فيما بعد بمشيئة الله تعالى ، فإن للمريد منازلات في التوحيد يشهدها علما ، ومنازلات في التوحيد يشهدها عملا في صلاته وصيامه وزكاته وحجه .

### تفاوت هِمم المريدين :

وفي هذا المقام تتفاوت هِمم المريدين ، وتختلف إرادتهم بقدر الفيض الأقدس ، والتنزلات الإلهية ، والمواجهات الربانية ، وتركيز نفوسهم ، وفراغ قلوبهم . فمنهم من يقوم بالعبادات على الوجه الأكمل ، ثم يحاسب نفسه بعدها فيتحقق التقصير ، فينيب إلى الله ويبكى .

ومنهم من يقوم بالعبادات على الوجه الأكمل ، ثم يحاسب نفسه بميزان مشاهد التوحيد ، فتتجلى له الحقيقة ، ويرى نفسه أنه أشرك بنسبة عمله لنفسه ، فيتوب ويبكى من الشرك الذي ألم بنفسه في عمله .

ومنهم من يقوم بالعبادات على الوجه الأكمل ، ثم يحاسب نفسه ، مشاهدا المنة عليه بالتوفيق والهداية والعناية والمعونة ، فيشتد شوقه إلى المنان الحنان ، ويستغرق في الشهود ، فلا يفارق إلا وقد دخل واجب الوقت الآخر ، فيسارع إلى عمله ، وتتجلى له تلك الحقيقة ، فيحصل له

الاستغراق ، وهو حال عن مقام التلوين في وجد ينتج وجودا وحالا قاهرين عن شهود ، وقليل مالم .

ومنهم من مكنه القوى المتين ، وثبت قلبه على دينه القادر الحكيم ، فجمع له سبحانه وتعالى بين شهود عمله الواجب عليه ، ومراقبة المنان الهادي الموفق عند كل عمل ، وهذا هو الذي من الله عليه سبحانه بالوجود معه ، وهو سبحانه معه سر قوله ﷺ : « كُنْ مَعَ اللَّهِ تَرَهُ اللَّهُ مَعَكَ » وهذا لا يحاسب نفسه ، لأنه واقف بين يدي ربه ، فان عن نفسه بمولاه ، مستغرق بشهود المنة عليه من الله ، وهؤلاء أقل من القليل ، وهم الصديقون من أصحاب رسول الله ﷺ ، والشهداء من ورثة رسول الله ، وتلاميذ الوارث الفرد لرسول الله ﷺ .

### أحوال تلك المشاهد :

هذا ما يمكن أن أشير إليه بالقول والكتابة ، ولكل مشهد من تلك المشاهد أحوال تعلق أهلها ، ومواجيد تقهر من تفضل الله عليهم بها ، وفيها يحصل الملام ، قال الله تعالى : ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ <sup>(١)</sup> وقال الله تعالى : ﴿ هُمْ

(١) سورة المجادلة آية ١١ .



دَرَجَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ ﴿١﴾ وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾ ﴿٢﴾ وقال ﷺ : يقول الله تعالى : ﴿ من أذى لى وليا أذنته بالحرب ، وما تقرب إلى عبدى بشيء أحب إلى من أداء ما افترضته عليه ، ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعة الذى يسمع به ، وبصرة الذى يبصر به ﴾ ﴿٣﴾ .

ومن جهل ما يفضل الله به على العمال المخلصين ، من المواجهة التى تغنيهم عما سواه ، كان لومه معينا للمساكين على ما هو فيه ، فإن الجاهل بحقيقة أمر إذا رأى آخر علم ربح التجارة ، فترك الأهل والوطن وسافر ، يلوم عليه ويعنفه ، ويقيم عليه الحجة ، لأن هذا عناء وعدم ثقة بالله ، وتغريب بالنفس ، وضياح للعمر . فلا يقبل الآخر قوله ، ولا يصغى لحديثه ، ويعتقد أن هذا المتكلم جاهل بقدر الخيرات ، جبان ، سافل الهمة ، ولا يرضى أن يضع أنفاسه ببيان سبل الخيرات له ، لاعتقاده أنه لا ينتفع بها ، لعلمه بما فطرت عليه نفسه من عدم المسارعة إلى الخيرات .

(١) سورة آل عمران آية ١٦٢ .

(٢) سورة الصافات آية ١٦٤ .

(٣) رواه أبو هريرة .

والسالك في سبيل الله كلما انبلجت له أنوار مشاهدة  
 وجهه الجميل ؛ صغرت في عينه الدنيا ، وتلذذ بالآلام في  
 سياحته ، وابتهج بما يتألم به أهل البطالة ، وكيف يصبر من  
 واجهه الحق بوجهه الجميل وناداه من مكان قريب ؟ أنا  
 ربُّك ووليك ، إلى ففر ، وعلى فتوكل ، أنا حسبك ، من  
 طينة صوّرتك ، ومن ماء مهين صنعتك ، ولأجلك خلقت  
 العرش وما يحيط به ، وأعددت لك في دار كرامتي مالا عين  
 رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، فسارع  
 يا عبدى إلى مجاورة حظائر قدسى ، ومواجهتى في مقعد  
 صدق ﴿ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ  
 وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ﴾ (١) .

## آداب الطريق

عم يتخلى القلب وبم يتحلى ؟ :

إن أساس السلوك في طريق الله تجريد القلب ، ونحن هنا سنبين لك مم يتجرد القلب ، وبم يتحلى ؟ وماهى الصفات التى يجب أن يتجمل بها طالب الله تعالى ؟ ولكى يسهل على القارئ فهم ما نرمى إليه ؛ قسمنا الكلام فى هذا الموضوع إلى قسمين :

أولا : التزام أحكام الشرع :

هو مراقبة الله تعالى فى سائر الأحوال ، ولا يكون ذلك إلا بتأدية الفرائض ، وترك المحرمات ، وامتنال أوامر الله ، واجتناب نواهيه ، والقيام بالنوافل ، وتجنب الشبه ، مع اعتقاد التقصير والعجز عن أداء ما يليق بجناب الله عزوجل ، فلقد قال ﷺ : « سبحانك لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك »<sup>(١)</sup> . وعليه أن يخلص عمله من الشوائب ، وأن يجرد نيته عند القيام بالعمل ، فيجعلها خالصة لله تعالى ، وأن يسلم أموره جميعها لله ، ويرضى بقضائه ، موقنا أنه لا يكون إلا ما يريد

---

(١) من دعاء الرسول ﷺ من كتاب الكلم الطيب .

سبحانه ، وكل ماأرادَه فهو خير . وبالمجملَة ، فزمام هذا الطريق الشرع ، فمن التزم أحكامه ، وتبع حكمته ، وجد في الأخذ بهذه المبادئ سهولة ولذة ، واستطاع أن يسير في الطريق بقدَم ثابت ، ومن أهل العمل بأحكام الشرع وعدل عن منهجه ؛ فقد استهوته الشياطين ، فضل وأضل ، وكان مصيره إلى جهنم وبئس القرار .

### ثانيا : استئصال المعاصي القلبية :

المعاصي القلبية إذا لم يستأصلها السائر في طريق الله من قلبه ؛ كانت سببا في إحباط عمله .

فمن تلك الخبائث : الحسد ، والرياء ، والعُجب ، والكبر ، وفقد الرحمة بعباد الله ، إلى غير ذلك من الصفات الذميمة ، التي تشوه عمل المرء وتجعله حقيقا بسخط الله ونقمته .

١ - الحسد مثلا من أقبح الصفات ، وهو كما قال عليه الصلاة والسلام : « الحسد يأكلُ الحسناتِ كما تأكلُ النارُ الحطبَ »<sup>(١)</sup> ويتشعب من البخل ، إذ البخل هو الذي يبخل بما في يده على غيره . والحاسد لنعمة الله على الغير -

---

(١) رواه أبو داود في سننه عن أبي هريرة .

وذلك فى خزائن قدرة الله تعالى لا فى خزائنه هو - شحه  
أعظم وعمله أقبح . وفى الحقيقة أن سوء أدب الحاسد ، إنما  
هو على الله تعالى ، لأن النعمة نعمته سبحانه ، فالاعتراض  
عليه . ولا يزال الحاسد فى عذاب دائم مادام يرى النعمة على  
محسوده ، ويزيده الله عذابا بحرمانه من كل ماتطلع إليه ،  
ومتقى لغيره زواله ، ولعذاب الآخرة أشد وأكبر ، والله در  
القائل :

ألا قل لمن كان لى حاسداً  
أتدرى على من أسأت الأدب ؟  
أسأت على الله فى فعله  
لأنك لم ترض لى ماوهب

٢ - الرياء : هو الشرك الخفى ، وحقيقته طلب  
المنزلة فى قلوب الخلق لينال بذلك الجاه . ولا شك أن حب  
الجاه ، من الهوى المتبع ، وكم أهلك أناسا ، فقد ورد أن  
الشهيد يؤمر به يوم القيامة إلى النار ، فيقول : يارب  
استشهدت فى سبيلك ، فيقول : ( أردت أن يقال  
شجاع ) .

٣ - العُجْب : هو الداء العضال ، وحقيقته أن ينظر  
العبد إلى نفسه بعين العز والاستعظام ، وإلى غيره بعين

الاحتقار ، وثمرته الترفع في المجالس ، وقول : أنا ، كما قال إبليس اللعين : ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾ <sup>(١)</sup> .

دلالة المعاصي القلبية من الحديث :

وخير حجة نستشهد بها على ما أوردناه لك ، ذلك الحديث الصحيح الوارد عن النبي ﷺ ، رواه ابن المبارك بإسناده عن خالد بن معدان أنه قال لمعاذ بن جبل : حدثني حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ ، قال : فكبر معاذ وبكى حتى ظننت أنه لن يسكت ، ثم قال : واشوقاه إلى رسول الله ﷺ وإلى لقائه ، سمعت رسول الله ﷺ يقول لى : ( يامعاذ إني محدثك بحديث إن أنت حفظته نفعك ، وإن أنت أضعته ولم تحفظه انتقطعت حجتك عند الله يوم القيامة ، يامعاذ ، إن الله خلق سبعة أملاك قبل أن يخلق السموات والأرض ، فجعل لكل من السبعة ملكاً بواباً عليها ، فتصعد الحفظة بعمل العبد من حين يصبح إلى حين يمسي ، له نور كنور الشمس ، حتى إذا بلغت به إلى السماء الدنيا ، زكته وكبرته ، فيقول الملك للحفظة : اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه ، أنا صاحب الغيبة ، أمرنى ربى ألا

(١) سورة الأعراف آية ١٢

أَدَعَ عَمَلَ مَنْ يَغْتَابُ النَّاسَ يُجَاوِزُنِي إِلَى غَيْرِي .  
قال : ثُمَّ تَأْتِي الْخَفْظَةُ بِعَمَلٍ صَالِحٍ مِنْ أَعْمَالِ الْعَبْدِ  
تَرْكِيهِ وَتَكْثَرُهُ ، حَتَّى إِذَا بَلَغْتَ بِهِ السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ ،  
قَالَ الْمَلِكُ الْمُوَكَّلُ بِهَا : قِفُوا وَاضْرِبُوا بِهَذَا الْعَمَلِ وَجْهَ  
صَاحِبِهِ ، إِنَّهُ أَرَادَ بِعَمَلِهِ هَذَا عَرَضَ الدُّنْيَا ، أَمَرَنِي  
رَبِّي إِلَّا أَدَعَ عَمَلَهُ يُجَاوِزُنِي لِغَيْرِي ، إِنَّهُ كَانَ يَفْتَخِرُ  
عَلَى النَّاسِ فِي مَجَالِسِهِمْ . قَالَ : وَتَصْعَدُ الْخَفْظَةُ بِعَمَلِ  
الْعَبْدِ يَبْتَهِجُ نُورًا مِنْ صَدَقَةٍ وَصِيَامٍ وَصَلَاةٍ قَدْ  
أَعْجَبَ الْخَفْظَةَ ، فَإِذَا انْتَهَوْا بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ ،  
قَالَ لَهُمُ الْمَلِكُ الْمُوَكَّلُ بِهَا : قِفُوا وَاضْرِبُوا بِهَذَا الْعَمَلِ  
وَجْهَ صَاحِبِهِ ، أَنَا مَلِكُ الْكِبَرِ ، أَمَرَنِي رَبِّي أَنْ لَا أَدَعَ  
عَمَلَهُ يُجَاوِزُنِي إِلَى غَيْرِي ، إِنَّهُ كَانَ يَتَكَبَّرُ عَلَى النَّاسِ  
فِي مَجَالِسِهِمْ . قَالَ : وَتَصْعَدُ الْخَفْظَةُ بِعَمَلِ الْعَبْدِ  
يَزْهُو كَمَا يَزْهُو الْكَوْكَبُ الدَّرِيُّ ، وَلَهُ دَوَى مِنْ  
تَسْبِيحٍ وَصَلَاةٍ وَصَوْمٍ وَحَجٍّ وَعَمْرَةٍ ، حَتَّى يُجَاوِزُوا  
بِهِ السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ ، فَيَقُولُ لَهُمُ الْمَلِكُ الْمُوَكَّلُ بِهَا :  
قِفُوا وَاضْرِبُوا بِهَذَا الْعَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ وَظَهْرَهُ  
وَبَطْنَهُ ، أَنَا صَاحِبُ الْعُجْبِ ، أَمَرَنِي رَبِّي إِلَّا أَدَعَ  
عَمَلَهُ يُجَاوِزُنِي إِلَى غَيْرِي ، إِنَّهُ كَانَ إِذَا عَمِلَ عَمَلًا  
أَدْخَلَ الْعُجْبَ فِيهِ . قَالَ : وَتَصْعَدُ الْخَفْظَةُ بِعَمَلِ  
الْعَبْدِ تَرْفُفُهُ كَمَا تَرْفُفُ الْعُرُوسُ إِلَى أَهْلِهَا ، حَتَّى إِذَا

انتهوا به إلى السماء الخامسة ، قال لهم الملك الموكل بها : ارجعوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه ، واحملوه على عاتقه ، أنا ملك الحسد ، أمرني ربى ألا أدع عمله يُجاوِزنى إلى غيرى ، إنه كان يحسد من يتعلم ويعمل بعلمه ويقع فيهم . قال : وتصدق الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وحج وعمرة وجهاد وصيام ، حتى إذا انتهوا به إلى السماء السادسة ، يقول لهم الملك الموكل بها : قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه ، أنا صاحب الرحمة ، أمرني ربى ألا أدع عمله يُجاوِزنى إلى غيرى ، إنه كان لا يرحم إنساناً قط من عباد الله أصابه بلاء أو ضر ، بل كان يشمت به . قال : وتصدق الحفظة بعمل العبد إلى السماء السابعة من صلاة وصيام ونفقة وجهاد وورع ، له دوى كدوى النحل ، وضوء كضوء الشمس ، معه ثلاثة آلاف ملك ، حتى إذا انتهوا إليها قال لهم الملك الموكل بها : قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه وجوارحه ، واقفلوا على قلبه ، إني أحجب عن ربى كل عمل لم يرد به وجه الله تعالى ، إنه إنما أراد بعمله غير الله . إنه أراد رفعة عند العلماء ، وذكراً عند الفقهاء ، وصيتاً بين الناس ، أمرني ربى ألا أدع



عمله يجاوزني إلى غيري ، لأنه سبحانه لا يقبل عمل المرائي . قال : وتصدق الحفظة بعمل العبد من طاعة وعبادة وخلق حسن ، وصمت وذكر لله ، ويشيعه ملائكة السموات السبع ، حتى يقطع الحجب كلها إلى الله تعالى ، فيقفون بين يديه ، فيشهدون له بالعمل الصالح المخلص لله تعالى ، فيقول سبحانه : ياملائكتي ، أنتم الحفظة على عمل عبي ، وأنا الرقيب على ما في قلبه ، ولا أخلصه لي ، أنا المطلع على ما في القلوب ، لا تخفى علي خافية ، ولا تغرب عني غاربة ، علمي بما كان كعلمي بما لم يكن ، وعلمي بالأولين كعلمي بالآخرين ، فكيف يغرن عبي بعمله ؟ إنما يغرن المخلوقين الذين لا يعلمون ، أما أنا فعلام الغيوب ، إنه لم يرِدني بعمله ، ولا أخلصه لي ، فعليه لعنة ، فتقول الملائكة جميعها : ياربنا ، عليه لعنتك ولعنة السموات السبع ومن فيهن . ثم بكى معاذ وقال : يا رسول الله ، كيف النجاة مما ذكرت ؟ قال : اقتد بنبيك في اليقين . قلت : أنت رسول الله وأنا معاذ ، فكيف لي في النجاة والخلص ؟ قال : نعم يامعاذ ، إن كان في عملك تقصير فاقطع لسانك من الوقعة في إخوانك من حملة القرآن خاصة ، واحمل

ذُنُوبَكَ وَلَا تَحْمِلْهَا عَلَيْهِمْ ، وَلِيرُدَّكَ عَنِ الْوَقِيعَةِ فِي  
النَّاسِ مَا تَعْلَمُهُ مِنْ عَيُوبِ نَفْسِكَ ، وَلَا تُتْرَكَ نَفْسُكَ  
بِذَمِّهِمْ ، وَلَا تُرَأَى بِعَمَلِكَ كَيْ تَعْرِفَ فِي النَّاسِ ،  
وَلَا تَدْخُلَ فِي الدُّنْيَا دَخُولاً يُنْسِيكَ أَمْرَ الْآخِرَةِ ،  
وَلَا تُتَنَاجَى رَجُلًا وَعِنْدَكَ آخَرُ ، وَلَا تَتَعَظَّمُ عَلَى النَّاسِ  
فَتَقْطُعَ عَنْكَ خَيْرَاتُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَلَا تَفْحَشُ فِي  
مَجْلِسِكَ كَيْ تُحَدِّثَ النَّاسَ مِنْ سُوءِ خَلْقِكَ ، وَلَا تَمْرُقَ  
النَّاسَ بِلِسَانِكَ ، فَتَمْرُقَكَ كِلَابُ النَّارِ فِي النَّارِ ، ثُمَّ  
قَرَأَ : ﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾<sup>(١)</sup> وَقَالَ : أَتَدْرِي  
مَا هُنَّ يَا مَعَاذُ ؟ قُلْتُ : بِأَبَى أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ  
مَا هُنَّ ؟ قَالَ : كِلَابُ فِي النَّارِ يَنْشُطُنَ اللَّحْمَ عَنِ  
الْعَظْمِ . قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ يَطِيقُ هَذِهِ الْخِصَالِ  
وَمَنْ يَنْجُو مِنْهَا ؟ قَالَ : فَإِنَّ الَّذِي وَصَفْتُ لَكَ  
لَيْسَ مِنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ ، إِنَّمَا يَكْفِيكَ مِنْ ذَلِكَ أَنْ  
تُحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ ، وَتَكْرَهُ لِلنَّاسِ مَا تَكْرَهُ  
لِنَفْسِكَ ، فَإِذَا أَنْتَ قَدْ سَلِمْتَ وَنَجَوْتَ<sup>(٢)</sup> .

قال خالد بن معدان : فما كان معاذ يكثر من تلاوة  
القرآن ، إكثاره من تلاوة هذا الحديث .

(١) سورة النازعات آية ٢ .

(٢) البداية والنهاية للإمام الغزالي .

## الجوارح المقابلة لأبواب الجنة والنار :

قال أحد الأئمة : ﴿ إِنَّمَا حُرِّمُوا الْوُصُولَ لِتَضْيِيعِهِمُ الْأَصُولَ ﴾ ونعم ، فإن الطريق إلى الله بدايته العلم ، ووسطه العمل ، وآخره معرفة الله تعالى ، بعد معرفة النفس . والعلم في البداية ، هو العلم بأركان الإسلام ، وأحكام المعاملات ، ومن تعلم هذا العلم وعمل به ، علمه الله ما لم يكن يعلم ، قال ﷺ « مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ وَرَثَةُ اللَّهِ عَالِمٌ مَا لَمْ يَعْلَمْ »<sup>(١)</sup> . وبالعمل بما علم يسلم المسلمون من يد السالك ولسانه ، فيكون مسلماً كما قال ﷺ : « المسلم من سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ »<sup>(٢)</sup> وفي رواية أخرى : « مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ » ومتى سلم الناس من لسانه ويده ؛ سلموا من باب أولى من جميع الجوارح ، فإن كل المعاصي في الحقيقة سببها اللسان ، لافرق بين معاصي الفرج والبطن وبين معاصي غيرها ، فكانه ﷺ يقول : من سلم المسلمون من جميع جوارحه ، وتلك الجوارح في الحقيقة هي مفاتيح أبواب الجنة وأبواب النار . وبعيشك ، هل يرضى مسلم يؤمن بالله وباليوم الآخر ، أن يفتح على نفسه باباً من أبواب النار ويقفل أبواب الجنة ؟ مع أن الله

(١) أخرجه أبو نعم في الحلية من حديث أنس .

(٢) أبو داود في الأدب والنسائي والبخاري والترمذي وابن حبان .

سبحانه مكنه وخيَّره بين فتح باب الجنة وفتح باب النار ، قال تعالى : ﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴾ <sup>(١)</sup> وشتان بين من يفتح أبواب النار في مجلس واحد ، وبين من يفتح أبواب الجنة في نفس واحد .

## ١ - فتح أبواب الجنة :

مثال ذلك : رجل مشى برجليه لزيارة عالم حتى وصل إليه ، ففتح باب الرجلين . وجلس معه فسمع الحكمة فوعاها ، ففتح باب الأذنين . ونظر إلى الفقراء معه فشكر الله تعالى على ماأنعم به عليه من اليسار والعافية ، ففتح باب العينين . ثم ذكر الله تعالى مع الذاكرين معه ، ففتح باب اللسان . ثم مد يده بصدقة لفقير أو لغيره ، ففتح باب اليدين . ثم تحمل الجوع مع العالم - لأن أكثرهم فقراء - ففتح باب البطن . ثم تذكر ذنوبه لحلاوة الحكمة فتأب إلى الله ، ففتح باب الجنة المعد للمفرج . وهو باب الخيام المضروبة على المقصورات من الحور ، ثم سمع علم التوحيد وعين التوحيد وحق التوحيد . فانفتح له باب القلب في الجنة ، وهو مقعد الصدق للصديقين والصديقين ، كل ذلك في نفسٍ أو أكثر .

---

(١) سورة الكهف آية ٢٩ .

## ٢ - فتح أبواب النار :

مثال ذلك : خرج رجل ليزور حاكما لغرض دنيوى ، يريد به أذية الغير ، أو يريد به الجاه ليعظم بين الناس ، أو يريد به رفعة درجة ، أو وظيفة ، أو إكبات عدو ، ففتح باب النار ، المعد للرجلين . فلما جلس بين يديه اضطر أن يصدقه فيما يقول ، أو يعينه على كشف عورة من عورات أهل الإيمان ، ففتح باب الأذنين . ثم تكلم بما لا يرضى الله ورسوله ففتح باب اللسان . ثم قدم له تحفة من طعام أو شراب ففتح باب البطن . لأنه أكل بمعصية الله مالا يستحق . ثم نظر إلى الزينة والأثاثات فأنكر نعمة الله عليه وأصغرها ، ففتح باب النار للعينين . حتى يفتح أبواب النار كلها . ثم يراه عظيما نافعا ضارا فيسلب الإيمان من القلوب فى مجلس واحد ، أعاذنا الله من ذلك . ومثال آخر : وهو أن يخرج لزيارة أهل الدنيا من إخوان السوء ، فيجلس معهم للغيبة والنميمة ، وسب المؤمنين الغافلات ، وقد يتجاوز ذلك إلى سب العلماء العاملين ، الصالحين المصلحين ، وقد يتجاوز ذلك إلى سب ولاية الأمور المخلصين أهل العدل ، وقد يتجاوز ذلك إلى أكل وشرب ماهو حرام ، قال تعالى : ﴿ فَلَا تَقْعُدُوا بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾<sup>(١)</sup> وقال ﷺ : « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يُخَالِلُ »<sup>(٢)</sup> .

(١) سورة الأنعام آية ٦٨ . (٢) أخرجه أبو داود والحاكم والترمذى من حديث أبى هريرة .

## الباب الثانى

### مراحل الطريق

مايجب أن يحصله المسافر فى طريق الله

أولا : الاستعداد قبل السير :

لما كان كل مسافر إلى مقصد عظيم وجب عليه أن يستعد لهذا السفر ، استعدادا يطمئن به قلبه على نفسه ، فيصحب الرفقة التى يأنس بها ، ويدفع بها عن نفسه مالا قبل له به ، والزاد الذى يبلغه مقصده حتى يرجع لأهله ، والسلاح الذى يستعمله عند لقاء اللصوص أو الوحوش ، والمال الذى يدخره للضرورة ، والراحلة التى تحملها ، والأثاثات التى لا بد له منها من البيوت التى تكنه ، واللباس الذى يقيه الحر والبرد .

وأهم مايلزم المسافر ؛ الخبير ؛ الذى يسلك به على الطريق الموصل ، العالم بالطريق علما عن تجربة وكثرة مروره به . هذا مايلزم المسافر فى أموره الدنيوية .

أما المسافر إلى حضرة الملكوت الأعلى ، فله لوازم  
 ضرورية لا بد منها ، وهى من الأهمية بمكان ، حتى يمكنه  
 أن يبلغ مقصده الملكوتى ، فإذا هم أن يسافر فاراً إلى الله  
 تعالى من كون الملكوت ، كثرت لوازمه وازدادت حاجاته .  
 كل تلك المعدات يجب أن تكون موفرة للمسافر قبل سفره  
 بزمان طويل ، فلا ينبغي له أن يسافر إلا بعد كمالها ، فمن  
 أخطأ فى إعداد العدة خاطر بنفسه ، فلا أرضاً قطع  
 ولا ظهراً أبقى .

ثانياً : أن يحصل فقه الشريعة عقيدة وعبادة :

١ - علم التوحيد :

ويُحصّل بالتلقى عن أهل الخشية من الله تعالى ، وهو  
 الركن الذى تجب المسارعة إليه قبل كل شئ ، ولا ينبغي  
 للسالك فى طريق الله أن يلتفت إلى شئ قبله ، إلا ما لا  
 يتحصل على هذا العلم إلا به من الضرورى ، كالغذاء والنوم  
 وقضاء حاجة الإنسان ، والسعى فى تحصيل ذلك .

ولأعنى به أن يتلقاه الإنسان بالطريقة التي يلقيها  
أدعياء العلم بالأقيسة المنطقية التي أخذوها عن اليونان ،  
فإن ذلك - والعياذ بالله - من البدع المضلة ، ولم يكن في  
عصر رسول الله ﷺ ، ولا في عصر الصحابة رضوان الله  
عليهم ، ولا التابعين وتابعيهم بإحسان .. وإنما تتلقى العقيدة  
بطريقة السنة كما بين ذلك رسول الله ﷺ ، وبالمآخذ  
القرآنية ، فإن الله تعالى بينها في كتابه العزيز بطريقة  
البرهان ، الذي لا يفهمه إلا من تزكت نفسه ، وصفا  
خياله ، واطمأن قلبه للحق ، بما جعله الله فيه من النور  
والهدى .

## ٢ - علم العبادات :

يجب على السالك بعد ذلك أن يتلقى العبادات عملا عن  
أهل الخشية بصحبته ، حتى يكون صورة لأصحاب رسول  
الله ﷺ ، عاملا بما كانوا عليه . فإن أهل الخشية تلقوها  
عملا من تلقاها عن تلقاها إلى رسول الله ﷺ ، قال ﷺ :  
« أتاني جبريلُ فصلّى فصليتُ ، ثم صلى فصليت -  
وكررها خمسا - فصلوا كما رأيتموني أصلى » يشير ﷺ  
إلى أن علم الصلاة يجب أن يكون عمليا لا بالدراسة ، وإنما



هى القلوب ، متى خشعت من علام الغيوب ، قامت  
مواجهة لجنابه العلى ، وحسن وقوفها بين يديه سبحانه .

ثم يتعلم الصيام والحج والزكاة عملاً أكثر من تعلمها علماً ،  
فإن تلقى أنواع العبادات بالعمل ينقش على القلب صورة  
نورانية ، تجعل الجسد هينا لنا للقيام بها . وتلقاها بالعلم  
يجعلها كالمعانى التى يتعقلها الإنسان ولا يشعر بالمقصود  
منها . ولذلك فإنك ترى دعاة العلم الذين يعلمون الناس  
أركان الإسلام ؛ يتهاونون بالقيام بها ، فقد يجلس الرجل  
يتحدث مع الآخر فيفوته الفرض والفرضان ، وقد يقف فى  
الصلاة وقلبه مشغول بغير من هو مواجهه سبحانه ، ويخرج  
من الصلاة مسرعاً إلى عمل ربما كان يدبره فى الصلاة ، وهو  
لا يشعر أين كان ؟ أصلى ثلاثاً أم أربعاً ؟ .

### ثالثاً : أن يحصل من القرآن ما يكفيه :

بعد تحصيل ذلك يجب أن يحصل من القرآن ما يكفيه ،  
لصلاته ، ولتلاوته وتدبره ، وللتلذذ بسماع كلام ربه من  
نفسه ، حتى لا يمضى عليه يوم إلا وقد تكلم مع الله سبحانه  
بكلامه المقدس ، والواجب على المريد أن يفهم ما حفظه  
من القرآن ، فإن حفظ شيئاً من القرآن بغير فهم ، وجب

عليه أن يسارع إلى خدمة من يفهم منه ما حفظ من القرآن ، حتى لا يكون كالبيغاء يقرأ كلام الله غير فهم ، وحسب المسلم جهالة أن يقرأ شيئاً من كلام الله غير فاهم معناه ، وهل إنسان يحب آخر ويجهل كلامه ؟ هذه دعوى باطلة ..

وما حجت أنوار الطريق وأسراره عن عيون البصائر ، وحرّم المريد أنوار المواجهات عند القيام بالقربات ، إلا من التهاون بفهم كلام الله ، ولم تكن خوارق العادات للسلف ، والهمم التي تنفذ في عظام الشئون ، وقوة سلطان المسلمين واتحاد كلمتهم ، واجتماع قلوبهم ، ومسارة كل مسلم لخير المجتمع الإسلامي ، إلا بفهم كلام الله تعالى . ومن انتسب إلى الطريق ولم يفهم ما حفظه من كتاب الله فهو في طريق هواه وحظه . وإلا فما الذي يدعو المريد أن يجعل نفسه كالميت بين يدي المرشد ، يتصرف في نفسه ودينه وماله ، إلا ليجعله في معية رسول الله عليه الصلاة والسلام ، إنساناً كاملاً عاملاً من عمال الله .

وإنما أهل الطريق من صغر في نظرهم كل شيء ، في سبيل تحصيل كلام الله ، وعلم أحوال رسول الله ﷺ .

رابعاً : أن يجاهد نفسه في ذات الله :

إن النفس عند السالك أغلى من نفسه ، فلا يصرفه إلا في تكميلها ، الكمال الذى به يكون فى مقعد صدق عند ملك مقتدر ﴿ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾<sup>(١)</sup> وليس الفيض القدسي ، والنور الروحاني ، والعلم الرباني ، يحظور عليه بزمان أو بمكان ، وإنما هو لمن يبذل نفسه وماله فى نيّله ، قال تعالى : ﴿ إِنْ اللَّهُ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمْ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> .

وإن المقاتلة العظمى فى سبيل الله هى مقاتلة الشخص نفسه لتكميلها ، قال ﷺ : « رَجَعْنَا مِنَ الْجِهَادِ الْأَصْغَرِ إِلَى الْجِهَادِ الْأَكْبَرِ جِهَادِ النَّفْسِ »<sup>(٣)</sup> فالإقدام بالملحمة بين صفوف الأعداء أمام نار المقدوفات جهاد أصغر ، ومجاهدة المرید نفسه فى ذات الله جهاد أكبر . ولا جهاد فى الحقيقة إلا

(١) سورة النساء آية ٦٩ .

(٢) سورة التوبة آية ١١٢ .

(٣) رواه البخارى .

بفهم كلام الله تعالى ، وعلم غوامضة والعمل به . وإن العامل بكتاب الله السالك على منهج رسول الله ﷺ في جهاد أكبر ممن ألقى بنفسه بين نيران المقدوفات ، لأن الذى ألقى بنفسه بين نيران المقدوفات ، شهد بعينه الجنة فتحت له فسارع إلى الجنة ، لا إلى نار وطعن . وإن من شهد الجنة فتحت له ، لا يشعر بما أصابه فى سبيلها .

بالعمل بالقرآن ملكنا الأرض شرقا وغربا ، وسدنا على العباد سرا وجهرا ، واستجاب الله لنا ، وسخر لنا ملائكة سماواته ، وبإهمال فهم القرآن أصبح من أهملوه عالة على أهل الكفر بالله ، وأتباعا وأذلاء لهم ، فإذا كان فهم القرآن عزا وملكا ومجدا فى الدنيا ، فكيف يكون فى الآخرة ؟ ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ (١) فالقرآن يجب أن نحبه ديننا ، ونحبه لأنه صدر عن الله ، وأنه صفة من صفاته ، وفيه تجلى لنا الله ، وظهرت لنا معانى صفاته ، وكاشفنا فيه بمحابه ومراضيه ، وبيّن لنا مايكرهه ويفضّبه لعمله ، ونحب القرآن لأنه الشمس المشرقة للأرواح الملكية ، وللنفوس

---

(١) سورة الرعد آية ١٩

الزكية ، وللقلوب المطمئنة بذكر الله . اللهم إني أشهدك  
أنى - ولك الحمد ولك المنة - أحب كلامك العزيز ،  
وأحب أن تقام حدوده ، وأن يكون العمل به ، فتفضل ياذا  
الفضل العظيم ، وأعطني محابى فيك سبحانه ، وحصنى  
بالقرآن من مخالفته ، إنك ولى المؤمنين .

## الحث على اتباع سنة خير المرسلين

اتباع السنة واجب لصحة الإسلام :

قدمت لك أن الطريق إلى الله تعالى هو العمل بكتاب  
الله وسنة رسوله ﷺ ، وما كان يعمل سلفنا الصالح عضا  
بالنواجز على سنة رسول الله ﷺ . وهنا أبين لك من  
الكتاب والحديث مابه تعلم حق العلم ، أن العمل بكتاب  
الله والسنة المطهرة ينال بهما المسلم محبة الله تعالى له ، والتى  
هى بغية أولى العزم من الرسل .

إعلم ياأخى - وفقنى الله وإياك لما فيه اتباع سنة  
رسول الله ﷺ - أن أبلغ آية دعانا الله فيها إلى اتباع  
السنة ، هى قوله تعالى : ﴿ وَمَا عَاثَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾

وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَأَنْتَهُوا ﴿١﴾ ثم فوله سبحانه : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٢) من هاتين الآيتين وغيرها يتضح لك أن اتباع رسول الله ﷺ فرض واجب لصحة الإسلام .

وكل من يخالف السنة فقد عرض نعمة الإسلام للزوال . قال ﷺ : « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ » (٣) وقال ﷺ : « مَنْ ضَيَعَ سُنَّتِي حَرَمْتُ عَلَيْهِ شِفَاعَتِي ، وَمَنْ أَحْيَا سُنَّتِي فَقَدْ أَحْيَانِي ، وَمَنْ أَحْيَانِي فَقَدْ أَحْبَبَنِي وَمَنْ أَحَبَّنِي ، كَانَ مَعِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الْجَنَّةِ » وجاء في الآثار المشهورة أن المتمسك بسنته ﷺ عند فساد الخلق واختلاف المذاهب والملل ، كان له أجر مائة شهيد ، وأنه كالقابض على الجمر ، أى : لا يسعه تركه ولا إمساكه .

ما المراد بالسنة ؟ :

المراد بالسنة ما نقله إلينا أتباع رسول الله ﷺ

(١) سورة الحشر آية ٧ .

(٢) سورة النساء آية ٦٥ .

(٣) رواه البخارى .

وأصحابه ، من أقواله وأعماله وأحواله وإقراراته ، وما كان عليه الخلفاء الراشدون وأصحابه الذين عاصروه من بعده ، ثم الذين يلونهم من التابعين ومن بعدهم ، وكل ما أحدث بعد هؤلاء مما يخالف منهاجهم فهو بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، يجب علينا محاربتها قدر استطاعتنا ، فإن الصحابة رضوان الله عليهم هم القدوة المثلى لنا بعد رسول الله ﷺ ، وقد كانوا ينكرون أشد الإنكار على من أحدث أمراً أو ابتدع رسماً لم يعهدوه في عصر النبوة ، سواء كان في صغير أو كبير ، في المعاملة أو في العبادة والذكر .

ومن الأدب ترك البحث والتفتيش فيما جاءت به السنة إذا صح سنده واستقام متنه ، فإنه يجزى إلى الطعن في الدين الذى هو مفتاح الضلال . وما هلك الأمم الماضية إلا بطول الجدل وكثرة القيل والقال ، وإنما يجب على المسلم أن يعرض بنواجذه على ما ثبت من السنة ، ويعمل به ، ويدعو إليه ، ويحكم به ، ولا يصفى إلى كلام أهل البدعة ولا يميل إليه .

## فرائض الإيمان وشعبه

### فرائض الإيمان :

وهنا يجب أن نبين لك ملة الإسلام الصحيحة التى وردت عن رسول الله ﷺ في حديث جبريل عليه السلام ،

لأنها أساس الطريق المتين وحصنه الحصين ، وهى : أن  
يؤمن العبد ويصدق بالله تعالى وحده لا شريك له ، ويؤمن  
بملائكته وكتبه ورسله وأجمعين ، وبالبعث بعد الموت ،  
وبالقدر خيره وشره من الله ، ثم يرى الإقرار الصحيح بذلك  
كله فرضا لازما ، فيقر به ، ويقم الصلوات الخمس لأوقاتها ،  
على شرائطها وحقوقها ، ويؤدى الزكاة فى المال لوقتها  
وبشرائطها ، ويصوم رمضان ، ويحج البيت إن استطاع  
إليه سبيلا .

ويرى أن من انطوى قلبه على هذه الفرائض جميعها ،  
ودل بها لسانه ، وعمله ، واطمأن إليها قلبه ؛ فهو مؤمن من  
أهل الجنة ، بفضل الله تعالى وكرمه .

### شعب الإيمان :

ويرى أن المؤمن لا يخرج عن إيمانه ذنب ، كما يخرج  
بالكفر والشرك والنفاق ، ويكل سريره إلى الله تعالى يوم  
القيامة ، إن شاء عاقبه بما شاء إلى ما يشاء ، وإن شاء عفا  
عنه بدليل قوله ﷺ : « أنه يخرج من النار مَنْ كَانَ فِي  
قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ » ، أى : أدنى شيء من يقين  
الدين . وأن لا يكفر أحدا بذنب ، ولا يخرج من الإسلام  
بعمل .



وأن يكف لسانه عن أهل القبلة ، ولا يشهد على أحد  
منهم بالكفر والشرك والنفاق ، ويكل سرائرهم إلى الله  
تعالى .

ومن سنة الإسلام أن يعلم بأن القلم قد جرى بما هو كائن  
من أمر الدين والدنيا ، رطبها ويابسها كما قال تعالى :  
﴿ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾<sup>(١)</sup> وأن  
السعادة والشقاوة مكتوبتان ، وكل ميسر لما خلق له ،  
فلاتقديم لما أخره الله ، ولاتأخير لما قدمه ، ولاتعطيل لما  
أحكمه ، ولاتنقض لما أبرمه ، وكل ذلك بقدر الله .

وأن يصلى العيد والجمعة خلف كل بر وفاجر من ولاية  
الإسلام ، ويصلى على من مات من أهل القبلة كأئنا من  
كان .

ويجاهد مع كل خليفة أعداء الله ، ولا يخرج على إمام  
المسلمين بالسيف ، ولا على أحد من أهل الإسلام ، بل يدعو  
لهم بالصلاح والخير والمعافة والاستقامة والرشاد والسداد ،  
ويدعو لإمام المسلمين ، ويطيعه فيما يأمر به مما أباحه  
الدين ، وإن كان عبدا حبشيا .

---

(١) سورة الأنعام آية ٥٩ .

ولا يطعن في سلف العلماء بما زلت به أقدامهم ،  
ولا يتخذهم غرضا .

ويتورع جهده عن مطاعن الصحابة رضوان الله عليهم ،  
فقد كانوا في أعلى مراتب التقوى والبر واليقين والزهد  
والهدى ، وقد وعدهم الله المغفرة في سقطاتهم بصحبة سيد  
البشر عليه الصلاة والسلام ، فمن الواجب على كل مسلم  
ألا يبسط لسانه فيهم إلا بأحسن ما يقدر عليه ، فإن أحدا لو  
أنفق ملء الأرض ذهباً ، لم يبلغ بعض ما كانوا عليه رضى  
الله عنهم ، ومن كمال حب المسلم لرسول الله ﷺ حب  
أصحابه من أجله .

ولا يخاصم ولا يجادل أحداً في الدين ، فإن ذلك يحبط  
الأعمال .

ولا يمارى أحداً في شبهات القرآن فإنه يقرع بذلك باب  
الضلال ، فإن ألجأه أمر إلى الحاجة فليكن سائلاً متمسكاً  
بآداب السؤال .

ويؤمن بعذاب القبر ويتعوذ بالله تعالى .

ولا يتكلم في الدين برأيه ، بل يتبع السنة في كل  
ما يقول ويعمل ويقرر .

ولا يتبع القياس في جميع مسائل الدين وأحكامه ، فإن  
أول من أخذ بالقياس إبليس اللعين .

ولا يناظر في صفات الله ولا في ذاته أحدا ، فإنه سبحانه  
تعالى منزّه عن القياس والأشباه والأوهام والخطرات ، ففي  
الحديث : أن هلاك هذه الأمة إذا تكلموا في ربه ، وأن  
ذلك من أشراط الساعة .

ويجب أن يترك التكلم في القدر والمجادلة فيه ، فإن  
ذلك من إشراك الأمم السابقة ، وليبحث له عن عالم رباني  
يكشف له ما يشتهه عليه من هذه الأمور . والله ولي  
التوفيق .

### البحث عن المرشد الدال على الله :

ولما كان العلم لا بد أن يكون بالتعلم ، وكان السالك في  
الطريق لا بد له من المعلم ، والمعلم محل الإجلال والتعظيم ،  
وهو الذي يجب له السمع والطاعة ، لأن السالك يسلمه نفسه  
فيزكيها له ، ويتلقى عنه أحكام دينه ليقلده في عقيدته  
وأعماله وأحواله ، فأول واجب على السالك في طريق الله  
تعالى ، أن يبذل غاية الهمة في البحث عن هذا العالم ،  
ليفوز برضوان الله الأكبر ، ويعمل لخير نفسه وخير المسلمين  
جميعا . ومن أهل في هذا الموضوع الجليل فلم يبحث عن

عالم ليتعلم ، أو لم يدقق في البحث عنه ، وسلم نفسه لمدع أو مبتدع ، فقد أخطأ نيل الوسيلة ، ومن أخطأ نيل الوسيلة حرم المقصد ، وسيان عندى من أهمل في تحصيل العلم ، ومن سحب رجلا بغير بصيرة وبحث عن حقيقته ، ليتبين له أنه مرشد حقا ، وهنا أبين لك أوصاف المرشد ، حتى تكون على بصيرة من أمرك ، والله ولى التوفيق .

### أوصاف المرشد :

المرشد هو الحى القائم الدال على الله ، العالم بالنفوس وأمراضها من نزوغ الشهوات والأهواء ، وميول إلى ما يلائم النفس ، العالم بالحقائق التى خلق الله منها الإنسان ، فإن الله جل جلاله خلق الإنسان متطورا فى بطن أمه ، من نطفة ، إلى علقة ، إلى مضغة ، إلى عظام ، ثم كسى العظام لحما ، ثم أنشأ خلقا آخر ، بعد أن افتتح خلقه من سلالة من طين ، ثم جعل سبحانه وتعالى فوقه سبع طرائق .

وهذا العالم بالنفوس هو العالم بالله ، وبآيات الله ، وبأحكام الله ، وطلبه فريضة ، لأن طلب العلم فريضة على كل مسلم ، والعلم بالتعلم ، والتعلم بالعالم ، ومتى سعد السالك فى طريق الله بهذا العالم ، أكمل الله له دينه ، وأتم عليه نعمته ، ورضى له الإسلام ديناً . والمعلوم أن العالم أجمع لا يجهد الله الحق الذى خلق السموات والأرض وما بينهما

واستوى على العرش ، وإنما المجهول علم ما يحبه ويرضاه ، من العقيدة والأخلاق والعبادات والمعاملات ، والقيام بما يحبه ويرضاه من العقيدة والعلم وشهود أنواره وأسراره وآياته في مكوناته ، مع كمال التنزيه والتسليم لله تعالى ، من غير منازعة بالعقول ، ولا مخالفة بالنفوس ، حتى يصلوا إلى مقام من أثنى الله عليهم بقوله : ﴿ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> .

## أخذ العهد على المريرين

البيعة في الكتاب والسنة :

قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾ <sup>(٢)</sup> . وقال تعالى : ﴿ وَالْمُؤَقُونَ بَعْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ﴾ <sup>(٣)</sup> . وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ <sup>(٤)</sup> . وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ

(١) سورة الأنعام آية ٨٢ .

(٢) سورة المؤمنون آية ٨ .

(٣) سورة البقرة آية ١٧٧ .

(٤) سورة الإسراء آية ٣٤ .

اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١﴾ وقال تعالى : ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ ﴿٢﴾ وقال ﷺ : « بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا » الحديث . فالعهد أولا أخذه الله تعالى على رسله الكرام ، بأن يكونوا أمة لحبيبه ومصطفاه إن أدرك زمانه أحدهم . وأخذت الرسل صلوات الله وسلامه عليهم العهد لله على أممهم ، وقام العلماء الربانيون بأخذ عهد الله تعالى بالنبابة عن رسول الله ﷺ على أهل عصرهم في كل زمان ، بأن يبينوا لهم ما أوجبه الله تعالى عليهم ، وما رغبهم فيه ، وما كان عليه رسول الله ﷺ وأئمة الهدى ، ثم يأخذون عليهم العهد أن يأتروا بما أمرهم به الله والرسول ، وينتھوا عما نهى الله ورسوله عنه .

### الجنة وفاء من الله بعده للمؤمنين :

قال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ ﴿٣﴾ وكما أن الله أخذ عليهم العهد أن يقوموا بالعمل بوصاياه سبحانه ، فقد ضمن لهم - فضلا منه وكرما - أن يدخلهم الجنة ، وبشرهم بأن

(١) سورة الفتح آية ١٠ .

(٢) سورة الفتح آية ١٨ .

(٣) سورة التوبة آية ١١١ .

يفى لهم بعهدہ سبحانہ ، قال تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ <sup>(١)</sup> وفي تلك الآية سر غامض تلوح أنواره لمن انتشل من أحوال التوحيد ، إلى فضاء التنزيه والتفريد ، بعد التزكية والتجريد ، وأشرقت أنوار الحضرة العلية ، حضرة الرب العلى الكبير ، على حضرة العبد الذى واجهه الرب جل جلاله ، فأشده معانى ربوبيته ، فتحقق بالتكين بالقيام بحقوق العبودية ، فكان الرب جل جلاله مع العبد ، والعبد المضطر مع الرب ، معية جعلت العبد متحدا مع ربه جل جلاله فيما يريد ، بمحو العبد فى مراد الرب ، وهمَّ العبد فى استجلاب رضاء الرب جل جلاله .

وبذلك تقوى الرهبة والرغبة من عظمة العظيم ، وفى الفضل العظيم من الله تعالى ، ويشد الخوف من مقام الرب جل جلاله ، والطمع فى عفوه ومغفرته ، فتكون معانى الربوبية معالم بين عيني العبد ، فلا يرى شيئا إلا ويرى أنوار الربوبية قبله وفيه وبعده ، وبذلك يكون ربانيا ، يفقه عن الله ، ويتلقى بسرہ عن رسول الله ، ويكون له وجود عيني بالله تعالى ، ثابت بإثبات الله له ، ظاهر بإظهار الله له ، عامل فى محاب الله ومراضيه بتوفيق الله وهدايته ، فيكون له من الله الفضل العظيم ، وعليه الواجب

(١) سورة البقرة آية ٤٠ .

المقدس ، الذى هو معرفة حكمة إيجاده له سبحانه وتعالى ،  
وسر إمداده منه سبحانه وتعالى ولذلك فإنه سبحانه بعد أن  
قال : ﴿ وَأَوْقُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ قال :  
﴿ وَإِيَّائِيَ فَآرْهَبُونِ ﴾<sup>(١)</sup> لأن هذا الخطاب المقدس ربما  
أشهد السالك فى مقام فرقه بعد الجمع ، مشهدا يجعل رغبته  
ورجاءه ، وطعمه وأنسه ، وشهوده سوانح النعاء وجميل  
الآلاء ، وتسخير كل شئ هو فى الملك والملكوت ، يقوى  
فيستر عنه مشاهد المنة ، وبوارق العظمة ، والعزة  
والكبرياء ، فرما يأنس بمشهد دون مشهد ، فأشار سبحانه  
بقوله : ﴿ وَإِيَّائِيَ فَآرْهَبُونِ ﴾ أى : أن مقام العبادة أرقى  
من مقامات العبادة والعبودية .

وإنما الأحوال نتائج الشهود ، والشهود نتائج المقامات ،  
فمن غلب عليه مقامه قهر حاله . ومقام الرهبة أعلى  
المقامات ، لأنه عن علم آيات عظيم كبير متعال ، على قادر  
منان . وكمن سالك وقف عند مشاهد الرغبة والرجاء  
والطمع ، ولم يتجاوزها إلى مقامات التمكين وحق اليقين ،  
فتاه شاطحا ، فيتداركه الرب جل جلاله بنعمة منه ، والله  
أرحم بالسالكين من أنفسهم بأنفسهم ، ورسوله ﷺ أولى  
بالمؤمنين من أنفسهم .

(١) سورة البقرة آية ٤٠ .



وفى تلك الآية الشريفة من غوامض الأسرار ، مما  
تكشف به النفوس الطاهرة ، قبس من مشكاة الأنوار ،  
تواجه به السرائر من أنوار الكوكب الدرى ، وذلك فضل  
الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

### كيفية أخذ العهد :

لما كان العلماء الربانيون ورثة الرسل عليهم الصلاة  
والسلام ، وكان لابد من تجديد عرى الإيمان ، لأن الإيمان  
يخرق كما يخرق الثوب ، وتخفى معالنه ، ولكن الله سبحانه  
وتعالى يجدده على ألسنة العارفين به .

ولما كان المرشد خليفة رسول الله ﷺ ، فى بيان شعب  
الإيمان وتفصيل ما أجمل من السنن ، وتوضيح ما أهم منها ،  
وبيان سبل الله ، كان عليه بعد أن يعلم تلاميذه ما يجب  
عليهم ، أن يعاهدكم بالنيابة عن رسول الله ﷺ ، ويواثقهم  
له صلوات الله وسلامه عليه ، مبينا لهم أن يده التى يضعها  
على أيديهم هى يد رسول الله ﷺ ، حتى يكون صورة  
كاملة لرسول الله ﷺ .

فأضطلع أهل الطريق رضى الله عنهم أن يبتدئوا مع  
المريد بتعليم العلم الواجب على المريد فى الوقت ، من علوم  
المعرفة والأخلاق والعبادات والمعاملات ، وآداب رسول الله

ﷺ ، ثم يواثقونه بعد ذلك على أن يعمل بما علم بقدر استطاعته ، وينتهى عما نهى عنه الله جملة واحدة إلا ما أكره عليه كما يبينونه له ، فيبايعونه البيعة الكاملة على أن لا يشرك بالله شيئا ، وأن يقيم الصلاة ، ويؤتي الزكاة ، ويصوم رمضان ، ويحج البيت إن استطاع إليه سبيلا ، وأن يجتنب الكبائر والفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وأن يجاهد نفسه وهواه في ذات الله ، ويبينون له : **﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾** <sup>(١)</sup> . هذا سر العهد عندهم ، ولا ينبغي أن يعاهد المرید إلا عارفا ربانيا ، يصح أن يكون صورة كاملة لرسول الله ﷺ بحسب زمانه ، لا بحسب المعاني المحمدية الكاملة .

---

(١) سورة التوبة آية ١١١ .

## الباب الثالث

### أصول الطريق

### العقيدة

العقيدة هي أصل الأصول :

هي أصل الأصول التي عليها مدار العبادات والأخلاق والمعاملات ، وبها نيل الرضوان الأكبر يوم لا ينفع مال ولا بنون ، قال سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾<sup>(١)</sup> ومتى انعقد القلب على العقيدة الحقّة التي مأخذها الكتاب والسنة ، وبيان الأئمة ، أشرقت أنوارها على الجوارح ، فسارعت إلى محاب الله ومراضيه ، وإنما تكون الاستقامة بقدر العقيدة الحقّة ، تجعل المتجمل بها حاضرا مع الله لا يغيب ، عاملا له سبحانه بالإخلاص لا يخالفه ، مراقبا له جلاله في خلوته ومجتمعه ، محاسبا نفسه على كل صغيرة وكبيرة ، يرى الجحيم حضورا أو استحضارا ، ويعيشك .. من رأى الجحيم بعين اليقين ، كيف يخالف القوى القهار المتين ؟ ! .

---

(١) سورة النساء ١١٦ .

## العقيدة في أقوال أئمة الطريق :

وإليك ما قاله أئمة الطريق فيما جملهم الله تعالى به من حسن العقيدة :

قال الإمام أبو القاسم القشيري في رسالته في علم التوحيد : إعلم أن شيوخ الطريق بنوا قواعد أمرهم على أصول صحيحة في التوحيد ، صانوا بها عقائدهم عن البدع ، ودانوا بما وجدوا عليه السلف وأهل السنة ، من توحيد ليس فيه تمثيل ولا تعطيل ، وعرفوا ما هو حق القدم ، وتحققوا بما هو نعت الوجود عن العدم .

وقال أبو بكر الشبلي رضى الله عنه : الواحد المعروف قبل الحدود وقبل الحروف .

وسئل رويم عن أول فرض افترضه الله عز وجل على خلقه ما هو ؟ فقال : المعرفة ، لقوله جل جلاله : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾<sup>(١)</sup> قال ابن عباس : إلا ليعرفون .

وقال أبو الحسن البوشنجي : التوحيد أن تعلم أنه غير مشبه للذوات ، ولا منفي للصفات .

---

(١) سورة الزاريات آية ٥٦ .

وسئل ذو النون المصرى : ماهو التوحيد ؟ فقال : هو  
أن تعلم قدرة الله تعالى فى الأشياء بلامزاج ، وصنعه للأشياء  
بلاعلاج ، وحكمة كل شئ صنعه ولاعلة لصنعه ، وليس فى  
السموات العلا ولا فى الأرضين السفلى مدبر غير الله ، وكل  
ماتصور فى ذهنك فالله بخلافه .

وقال الجنيد : التوحيد علمك وإقرارك بأن الله فرد فى  
أزليته ، لاثنائى معه ، ولاشئ يفعل فعله .

وقال أبو عبد الله : الإيمان تصديق القلوب لما علمه الحق  
من الغيوب .

وقال أبو العباس السيارى : عطاؤه على نوعين : كرامة  
واستدراج ، فما أبقاه عليك فهو كرامة ، وماأزاله عنك فهو  
استدراج ، فقل : أنا مؤمن إن شاء الله تعالى .

وقال سهل بن عبد الله التسترى : ينظر المؤمنون إليه  
تعالى بالأبصار ، من غير إحاطة ولا إدراك نهاية .

وقال أبو الحسن النورى : يشاهد الحق القلوب ، فلم ير  
قلبا أشوق إليه من قلب محمد ﷺ ، فأكرم بالمعراج تعجيلا  
للرؤية والمكاملة .

وقال أبو عثمان المغربى يوما لخادمه محمد : لو قال لك

أحد : أين معبودك ، فماذا تقول ؟ قال : أقول : لم يزل ،  
قال : فإن قال : أين كان في الأزل ، فماذا تقول ؟ ، قال :  
أقول : حيث هو الآن . يعنى أنه كما كان ولا مكان ، فهو  
الآن كما كان ، قال : فسر منه ذلك ، ونزع قيصه وأعطاه  
إياه .

وسئل أبو عثمان المغربي عن الخلق فقال : قوالب  
وأشباح ، تجرى عليهم أحكام القدرة .

وقال الواسطى : لما كانت الأرواح والأجساد قامت بالله  
وظهرتا بالله ، لا بدواتها ، كذلك قامت الخطرات والحركات  
بالله ، لا بدواتها ، إذ الحركات والخطرات فروع الأجساد  
والأرواح .

وقال أبو سعيد الحزاز : ومن ظن أنه يبذل الجهد يصل إلى  
مطلوبه فَمَتَّعَ ، ومن ظن أنه بغير الجهد يصل فَمَتَّعَ .

وجاء رجل إلى ذى النون المصرى يقول : ادع الله لى ،  
فقال له : إن كنت قد أيدت فى علم الغيب بصدق التوحيد  
فكم من دعوة مجابة سبقت لك ، وإلا فإن النداء لا ينقذ  
الغرقى .

وسئل ابن شاهين الجنىدى عن معنى « مع » فقال : لها

معنيان ، مع الأنبياء بالنصرة والكلاءة ، قال تعالى : ﴿ إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ <sup>(١)</sup> ومع العامة بالعلم والإحاطة ، قال تعالى : ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

وسئل ذو النون المصري عن قوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ <sup>(٣)</sup> قال : أثبت ذاته ونفى مكانه ، فهو موجود بذاته ، والأشياء موجودة بحكمه كما شاء سبحانه .

وقال الإمام جعفر الصادق : من زعم أن الله في شيء أو من شيء أو على شيء فقد أشرك ، إذ لو كان في شيء لكان محصورا ، أو كان من شيء لكان محدثا ، أو لو كان على شيء لكان محمولا .

وقال الجنيد : التوكل عمل القلب ، والتوحيد قول القلب .

### المنكرون لأقوال أئمة الطريق :

هذه عبارات من سبقت لهم العناية ، وإنما يذوق حلاوة معناها أهلها ، ممن سبقت لهم من الله الحسنى :

• سورة طه آية ٤٦

• سورة المجادلة آية ٧

• سورة طه آية ٥

﴿وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾<sup>(١)</sup> وإن كان معنى الآية يشير إلى ما كان يحصل لرسول الله من الحزن - عند إنكار قریش وتكذيبه - رحمة بهم. ولكن نذكرها هنا لإقامة الحجة ، على أن تلك العبارات يزداد بها أهل الإیمان الكامل یقینا ، وینکرها من سجل علیهم القضاء البعد والقطیعة ، نعوذ بالله ، وهم لا یخفون علینا بعد أن بین الله لنا أوصافهم ، وحذرنا منهم ، وهم الآن کثیر لضعف أهل الحق ، وسیأتی وقت - وهو قریب - یشهر الله أهل الحق ، ویعید لنا ما کان لسلفنا من القوة والتمکین فی الأرض ، ولديها أهل النفاق - الذين یجَاهرون اليوم بالاعتداء على الدين - یسارعون إلى التمسك خوفا من قوة الحق ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup> .

وماتقول فی عقيدة من يدعی الإسلام وهو یعتدی على أخیار الله ، محتجا بكلام من لاجحة لهم ممن قال الله فیهم ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾<sup>(٣)</sup> وقال سبحانه : ﴿مَا

(١) سورة هود آية ١٢٠ .

(٢) سورة يوسف آية ٥٢ .

(٣) سورة الفرقان آية ٤٤ .



أَشْهَدْتُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ  
وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿١١﴾ .

ما تقول فى عقيدة من يقول : أنا أبحث بحثا علميا  
والدين والعلم مختلفان . وهو يجهل حقيقة العلم لأنه يجهل  
روح الدين . الإسلام لا يعادى العلم ، لأن الإسلام وضع  
الحكيم العلم ، الذى بين الحقائق كما هى ، وكل ما يخالفه فهو  
جهل وضلال ، وإن كان عند أهل النفوس اللقطة علما .

العلم هو تصور النفس رسوم المعلوم ، ومتى تصورت  
النفس رسوم المعلوم ، صار المعلوم معالم بين عيني العالم ،  
لأنبلاج أنوار الغيب المصون وإشراقه على جوهر النفس ،  
فبين لغيره بالعبرة معانى المعلوم ، ليمثلها خيال السامع  
لابقدر المعلوم ، فإن كان السامع ممن منحهم الله نفسا  
نورانية ، تقبل العلم الحق واطمأن قلبه . وإن كانت نفسه  
خبثية ، أنكر ومال إلى مجالسة أهل الكفر والضلال ، فإن  
استدرجه الله تعالى بقوة أهل الباطل ، وضعف أهل الحق ،  
جاهر بالضلال ، وإن أظهر الله أهل الحق أظهر أنه من  
أتباعهم ، وأخفى فى نفسه ما الله مبيديه ، وهو النفاق .

---

(١) سورة الكهف آية ٥١ .

أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَحْفَظَنَا مِنَ النِّفَاقِ ، وَأَنْ يُؤَيِّدَنَا بِرُوحٍ  
حَتَّى يَكُونَ الْمَجَاهِرُ مُنَافِقًا ، ثُمَّ يَظْهَرُ اللَّهُ مَا فِي نَفْسِهِ  
فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا يَأْيِدُنَا ، وَفِي الْآخِرَةِ بِنَارِ جَهَنَّمَ ، أَوْ  
يَتُوبَ عَلَيْهِ وَيَهْدِيهِ مِنْهُ ، وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ .

### العقيدة هي الحجة :

بينت لك الأصل الأول الذي هو العقيدة ، وهو أصل  
الأصول ، بل هو رأس مال المؤمن ، ومازاد عليه فهو  
ربحه ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ  
وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ <sup>(١)</sup> والعقيدة الحقّة  
مأخوذة من الكتاب والسنة وبيان الأئمة ، وقد أوردت  
ماقاله أئمة الطريق رضى الله عنهم فى العقيدة ، وفيه  
الكفاية لمن جعل الله لهم نورا فى قلوبهم . ومن طلب  
تحصيل العقيدة بالبراهين المنطقية والأدلة العقلية ، حرم  
الإيمان الحق ، لأن الله تعالى على عظيم ، لاتدركه الأبصار  
الباحثة . وقد أخبرنا سبحانه وتعالى عن نفسه فى آيات من  
القرآن كثيرة ، وأقام الحجة البالغة بما بينه سبحانه فى خلق  
السموات والأرض وما بينهما وما فيها ، مما شاهدته العقول ،  
واطمأنت به القلوب . على أن كل شئ خلقه الله للإنسان مما  
أحاط به من أفلاك وأملاك ، وأجواء وأرجاء ، ومعادن

---

(١) سورة النساء آية ١١٦ .

ونباتات وحيوانات ، وهذه هى الحجة التى أسجدت القلوب  
 لعلام الغيوب ، وبقيت المحجة وهى الأصل الثانى الذى هو  
 العبادة التى تربط العبد بربه ، قال تعالى : ﴿ وَأَعْتَصِمُوا  
 بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾<sup>(١)</sup> وتتمثل فى الطريقة  
 المستقيمة .

## الطريقة المستقيمة

الطريقة هى المحجة :

هى أقرب طريقة توصل إلى المطلوب ، وكل الطرق  
 الأخرى منحرفة أو معوجة أو منقطعة لاتوصل السالك  
 عليها ، وتلك الطريقة المستقيمة محصورة فى قول رسول الله  
 ﷺ وعمله وإقرارته ، وقد بينها أئمة الهدى بالقول والعمل  
 والحال .

وطالب الله تعالى يجب عليه أن يبحث عن مرشد  
 يصحبه ، هو أشبه الناس برسول الله ﷺ ، وبعد أن يظفر  
 به يجب عليه أن يسلم له فيما علم أنه لا يخالف كتابا ولا سنة ،  
 فإن الحرام بين والحلال بين ، ومن حجب ممن يتعدى حدود

---

(١) سورة آل عمران آية ١٠٣ .

الله ويخالف أحكامه ، ووصايا رسول الله ﷺ ، فارق السنة ، ومال عن الطريقة المستقيمة ، ولا حجة له .

قال الله تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ <sup>(١)</sup> .

والواجب علينا أن نتمسك بالسنة ، تمسكا يمنحنا ربنا الفوز به ، والوصول إليه ، ونيل ما وعدنا سبحانه عنده ، قال سبحانه : ﴿ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا ﴾ <sup>(٢)</sup> .

بم تصلح الطريقة ؟ :

أولا : تلقى عقيدة التوحيد :

تلقى عقيدة التوحيد من الكتاب والسنة والسمع من المرشدين الكاملين ، لامن أهل الجدل والمعارضة والإنكار ، الآخذين بأصول اليونان - التي هى الأشكال المنطقية ونتائجها - وما لم يكن عليه السلف الصالح ، بل يترك الجدل مرة واحدة ، قال تعالى : ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ <sup>(٣)</sup> .

(١) سورة الأنعام آية ١٥٢ .

(٢) سورة الأعراف آية ٤٤ .

(٣) سورة الزخرف آية ٥٨ .

ثانيا : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

المسارعة إلى عمل ما أمر الله بقدر الطاقة ، والبعد عما نهى الله عنه جملة ، فإن الطاعة مقيدة بالطاقة . قال تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾<sup>(١)</sup> وكل تكليف ملاحظ فيه الاستطاعة ، وأما ما نهى الله عنه فترك جملة واحدة ، فإن الله ما نهى إلا عن كل قبيح لاخير فيه .

ثالثا : أن يكون لكل فرد في المجتمع حق عليه :

أن ينزل الناس من قلبه بقدر ما أنزلتهم الشريعة .  
فترى معلم الخير والوالدين في أرق المقامات من قلبك ،  
تعظيما واقتداء ومحافضة على الاتباع وبرا .

وترى إخوتك من والديك أحب الناس إليك ، ويليهم  
إخوتك من والدك أو والدتك ، ثم ترحم أبناءك وتجتهد في  
تربيتهم تربية تصلح بها حالهم في الدنيا والآخرة ، ثم تحسن  
صحبة زوجتك ، وخصوصا إذا تزوجت أكثر من واحدة .

ثم تنزل الناس بحسب منازلهم ، من جار أو قريب أو  
شريك أو عامل عندك ، من الرحمة وحفظ العهد ورعاية  
جانب الله تعالى ، حتى يكون المجتمع الإسلامى كالجسد  
الواحد ، لكل فرد منه حق عليك بقدره شرعا .

(١) سورة التغاين آية ١١ .

رابعا : أن يؤدي ما عليه لغيره :

وهنا ملاحظة أحب أن يكون السالك عليها ، وهي أن يسارع في تأدية ما عليه لغيره ، ولا يطالب الناس أن يقوموا بما عليهم له ، طمعا فيما يناله من الأجر يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

وفي هذا المقام تتفاوت المقامات ، فإن الله سبحانه عندما أثنى على رسول الله ﷺ لم يثن عليه لأنه كثير الصيام ، أو القيام ، وإنما أثنى عليه بالأخلاق الكريمة ، قال تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝ ﴾<sup>(١)</sup> بغير التنوين ، أى : على خلق الله ، وبالتنوين فى رواية حفص يعنى على خلق موصوف بالعظمة عند الله تعالى ، وهو أكمل جمال للأخلاق. ولا تسوّاها المريد بالأخلاق شيئا، فإن الأخلاق هى رعاية جانب الله تعالى ، وقهر دواعى البشرية من الحظ والهوى والطمع ، وبذلك يكون المريد أشبه بالملائكة المقربين ، بل أفضل منهم ، لأنه مجاهد ، والملائكة أرواح نورانية ليست فيهم عناصر تقتضى المجاهدة ، قال تعالى : ﴿ وَقَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۝ ﴾<sup>(٢)</sup> .

(١) سورة القلم آية ٤ .

(٢) سورة النساء آية ٩٥ .

## الشرعية والحقيقة طريق واحد

أدعياء الطريق وتأويلاتهم :

إن الأصول الشرعية يجب على السالك في طريق الله أن يراها حق رعايتها ، فلا يجحد عنها قيد شعرة ، والسلوك إلى الله تعالى لا يمكن أن يكون من غير الطريق الشرعى ، ولما كانت هذه النقطة من أدق النقاط وأصعبها فهما على عقول العامة ، خصوصا في هذا الزمان المظلم الذى تفشت فيه البدع ، واشتدت وطأة المضللين والجاهلين .

فقد رأينا أن نعرض للكلام فيها ، ونفصل ماخفى منها حتى تستبين الحجة فيها ، وتتضح الحجة وينجلي ذلك الستار الموهوم الذى أسدله أدعياء المتصوفة وقاطعوا طريق الله تعالى على أنفسهم ، لتضليل البسطاء وإغواء الأبرياء ، والتحايل على العيش من وراء هذا الافتراء والبهتان .

يحاول أولئك القوم أن يفهموا السذج من الناس أن الشريعة والحقيقة مختلفتان ، متناقضتان في لفظها وجوهرها ، وأنها طريقان متباينان ، لكل طريق منها أصول وقوانين ، وأن كلا منها انفردت بأهلها ومعتنقيها عن الأخرى ، ولذلك يحتمون على من سار في طريق الحقيقة أن يترك كل ما يتعلق بالشرعية ، لأنه يسير بزعمهم في طريق

أعلى وأسمى من تلك الطريق ، ولا يجمل بن رقي أن  
يتنزل ، ولا بمن تغفل في بطن الدار وجالس أهلها ؛ أن  
يعود للوقوف على بابها .

### الرد على هذه التأويلات :

وجهل أولئك المغرورون أن الشريعة والحقيقة طريق  
واحد ، بدايته الأولى ونهايته الثانية . وأن الحقيقة من  
الشريعة ، كالقصر المشيد العالى من الأساس المتكّن فى أعماق  
الأرض ، فلو لم يبق هذا الأساس ويحكم بناؤه لما قام ذلك  
القصر ، ولما دام بقاؤه . وإنه وإن كانت الحقيقة بيتا  
والشريعة بابها ، فإن البيوت لا تؤق من غير أبوابها ، وإن  
الذى يدخل البيت من غير الباب إنما هو لص مريب ،  
لا ينظر إليه بعين الثقة ولا الاحترام .

ولقد بيّن العلماء العارفون بالله وهن تلك الدعاوى  
الباطلة ، التى يضل بها أولئك الأدعياء عقول الناس ،  
يقذفون بهم فى هوة مخالفة الشريعة والخروج على أوامرها ،  
حتى إذا ما انقضت تلك الحياة الدنيا - وسرعان ما تنتقضى -  
وجاء يوم الحساب والعقاب : ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا  
مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ  
الْأَسْبَابُ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لِلَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا



كَرَّةً فَتَنْتَبِرًا مِنْهُمْ كَمَا تَنْتَبِرُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ  
أَعْمَلَهُمْ حَسْرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ  
النَّارِ ﴿١١﴾ .

مكائد أدعياء الطريق وحيلهم :

وإليك بعضا من مكائدهم وحيلهم التي ينصبون شراكها  
لإيقاع البسطاء :

أول ما يبدو لك من أحوالهم جرأة على الشريعة ، وسوء  
أدب مع الله تعالى ، وأمن واستهتار ينبئك بأن نفوسهم  
لقسة لم تتطهر من رجس الشهوات ، ولم يوجد فيها القابل  
الذى يقبل الحقائق ويرضخ لها ، وإذا ما أنكر عليهم منكر  
بعض أمورهم المخالفة للشرع الشريف ، قالوا كذبا : إن  
حرمة ذلك في العلم الظاهر ، وإنا أصحاب العلم الباطن ،  
وهو في علمنا حلال ، وإن الناس يأخذون من الكتاب  
والسنة ، أما نحن فنتلقى من صاحبها محمد ﷺ ، فإن  
أشكل علينا ما نتلقاه منه رجعنا إلى الله تعالى بالذات . وإنا  
بالخلوة ، وهمة شيخنا نصل إلى الله ، فتكشف لنا العلوم ،  
فلانحتاج إلى كتاب وسنة ، إن الوصول إلى الله تعالى  
لا يكون إلا برفض العلم الظاهر والشرعى ، وإنا لو كنا على

(١) سورة البقرة آية ١٦٦ - ١٦٧ .

الباطل ما حصلت لنا تلك الكرامات العلية ، والآحوال  
السنية ، من مشاهدة الأنوار ، وكشف الأسرار .

الرد على هذه المكائد والحيل :

كل ذلك ونحوه أكاذيب وترهات ، بل هو إلحاد  
وضلال ، إذ فيه ازدراء بالشرعية السحاء ، وإبطال لحكمة  
تشريعيها ، وإن الشيطان لم ينل من المسلمين ما ناله الفساق  
من المدعين التصوف بالباطل ، فإن الله تعالى يقول :  
﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾<sup>(١)</sup> والتقوى هى العمل  
بعلم الشريعة ، لأن الأخذ بالعزيمة من شأن الأتقياء ، ومن  
خالف الشريعة صار غويا لا تقيا ، ومثله يعلمه الشيطان  
الطمع فى الأموال ، وإباحة الأعراض ، والكيد لخالفيه  
والمنكرين عليه .

الذين يحصلون علم الشريعة ولا يعملون به :

كما أن الذين يحصلون علم الشريعة ولا يعملون به هم شر  
الخلق ، لأن العالم إذا استعان بعلمه على نيل الدنيا من  
الملوك والأمراء ، بل ومن المتسلطين من غير المسلمين ، بأن  
يواليهم ويؤوِّدهم ويتردد عليهم ، سلب الله منه بركة العلم ،  
وكان العلم حجة عليه يوم القيامة . روى الإمام أبو عمر

---

(١) سورة البقرة آية ٢٨٢ .

يوسف بن عبد البر الأنديلسي بسنده في كتابه : ( جامع بيان العلم ) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أولُ الناس يُقْضَى فيه يومُ القيامة ثلاثة : رجلٌ استشهد في سبيلِ الله فأُتِيَ به ربُّه فعرفه نِعَمه فَعَرَفَهَا ، فقال : فما عملتَ فيها ؟ قال : قاتلتُ فيكَ حتى استشهدتُ ، قال : كذبت ، ولكنك قاتلت لأن يقال جرىء فقد قيل : ثم أمر به فسحب على وجهه حتى أُلقي في النار . ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن . فأُتِيَ به فعرفه نِعَمه فعرفها ، قال : فما عملتَ فيها ؟ قال تعلمتُ فيكَ العلمَ وعلمته وقرأتُ القرآن ، قال : كذبت ، ولكن ليُقال : هو قاريء ، وقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى أُلقي في النار . ورجل أوسع الله عليه وأعطاه من أصنافِ المال ، فأُتِيَ به فعرفه نِعَمه فعرفها ، قال : فما عملتَ فيها ؟ قال : ما تركتُ من سبيلٍ تحبُّ أن أنفقَ فيه إلَّا أنفقتُ فيه ، قال : كذبتَ ولكن ليُقال هو جواد فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى أُلقي في النار » <sup>(١)</sup> .

(١) رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة .

وهذا الحديث فيمن لم يرد بعلمه ولا عمله وجه الله ، وقد قيل في الرياء : إنه الشرك الأصغر .

## المعرفة بالله تعالى

الرضا هو المعرفة بالله تعالى :

أهل الطريق أسسوا طريقهم إلى الله تعالى على آيات كثيرة من القرآن ، وأحاديث صحيحة وصلت إليهم بسند عال صحيح ، من تلك الأحاديث ما رواه الإمام أحمد بن حنبل بسنده قال : قال رسول الله ﷺ : « ذاقَ طعمَ الإيمانِ مَنْ رَضِيَ باللهِ ربًّا وبالإسلامِ ديناً وبمحمدٍ ﷺ نبيّاً »<sup>(١)</sup> هذا الحديث الصحيح ركن من أركان الطريق الذي أخذ به أهل العلم بالله تعالى ، لأن الذوق المنبعث عن الرضا هو المعرفة بالله تعالى ، والمعرفة أسكنها سبحانه قلب من أحبه من العباد ، ولا شيء أجل وأعظم من ذلك النور .

حقيقة المعرفة حياة القلب وموت النفس :

وحقيقة المعرفة حياة القلب بالحجي سبحانه ، قال تعالى : إِذْ أَوْمَنَ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا

(١) صحيح مسلم .

يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ۖ (١) وقال جل شأنه : ﴿ لِيُنذِرَ  
مَنْ كَانَ حَيًّا ۖ (٢) وقال تعالى : ﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً  
طَيِّبَةً ۖ (٣) وقال تعالى : ﴿ أَسْتَجِبُوا لِلَّهِ  
وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ (٤) فمن مات نفسه  
بعدت عنه دنياه ، ومن مات قلبه بعد عنه مولاه .

فأهل طريق الله تعالى رضى الله عنهم : لما ماتت  
نفوسهم بعدت عنهم الدنيا وبعدوا عنها ، ولما قامت بحكم  
الحياة الدائمة بالله قلوبهم الطاهرة : قربت من الله ، وقرب  
بسرده المقدس منها ، فهم ودائع مدد الله وخزائن أسرارهِ ،  
إليه يرجعون ، وبه سبحانه وتعالى يهيمون ، وعليه يتوكلون  
وإلى غيره لا يلتفتون ، وكل ما يحمل على أكبرهم وأصاغرهم ،  
خفيهم وظاهرهم ، من الشئون التى تمس زهرة هذه الدنيا  
الفانية بحقيقتها ، خلاف ما حملها عليهم الكذابون ، وأضافها  
إليهم الباغون .

### مشارب أهل الطريق :

وهم رضى الله عنهم على مشارب وأطوار ، فمنهم رب

(١) سورة الأنعام آية ١٢٢ .

(٢) سورة يس آية ٧٠ .

(٣) سورة النحل آية ٩٧ .

(٤) سورة الأنفال آية ٢٤ .

المظهر القهار ، ومنهم المتحلى بالتجرد عن الآثار ، ومنهم  
الملتحف برداء التعزز والوقار ، ومنهم المتطيلس بطيئلسان  
الذل لله والانكسار ، ومنهم المغلوب ، ومنهم المجذوب ،  
ومنهم المتمكن الجامع ، ومنهم السيف القاطع ، ومنهم شرعى  
الانبلج ، ومنهم البحر العجاج .

وكلهم ثقيلون على أهل النفوس الملوثة بأغراضها ،  
والقلوب المملوءة بأمراضها ، وهم غرباء عن جنس أولئك ،  
ولذلك قال عليه الصلاة والسلام عنهم : « مَنْ يُبْغِضُهُمْ  
أَكْثَرُ مَنْ يُحِبُّهُمْ » لأنهم يخالفون ماعليه النفوس وأربابها .  
والمقاصد الفاسدة وأصحابها . وقد روى : « مَنْ أَحَبَّ اللَّهَ  
فِيَلْتَخِذْ لِلْبَلَاءِ جَلْبَابًا » فالابتلاء لأحباب الله تعالى  
لا بد منه ، ولكن لهم الغلبة على من عاداهم ، والنصرة على  
من ناوَاهم قال سبحانه : ﴿ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ  
حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ۝ <sup>(١)</sup> ۝ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ أَلَا إِنَّ  
أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ <sup>(٢)</sup> ۝

وكل أهل زمان لهم من الله حظهم بقدر احترامهم  
لأهل الوقت من أهل الله ، وبقدر محبتهم لهم ، وحسن

(١) سورة المائدة آية ٥٩ .

(٢) سورة يونس آية ٦٢ .

ظنهم بهم ، وصدق موالاتهم ، وخالص الاجتماع لمناهجهم ،  
وسلوك طريقهم ، والتخلق بأخلاقهم ، مع إجلالهم  
وإعظام شأنهم . والعكس - والعياذ بالله - بالعكس .... فإن  
إهانة أولياء الله ، والكذب عليهم ، وإهمال حقوقهم ، وهضم  
مقاديرهم ، ينتج عن زيغ القلوب ، وخبث النفوس ،  
واستخفاف لأوامر الله تعالى ، ومتى عمت هذه الأوصاف  
القبیحة قوما من المسلمين : ترى الحزى والفشل يعمهم ،  
والذل يكتنفهم ، ويدعون فلا يستجاب لهم .

لأن هؤلاء القوم هم أمناء النبي ﷺ في الأمة ، وهم  
العلماء بالله حقا ، العارفون بسنته عليه الصلاة والسلام  
صدقا ، المتمسكون بها ، الناصرون لها ، المفرغون للأخلاق  
الحمدية في القلوب ، الجاذبون ألباب الأمة إليه ﷺ ، هم  
نقطة الجمع للقلوب على أمر الله وسنة نبيه ، وإعزاز كتابه ،  
وتعظيم أمره ، وتوقير أحبابه ، فتي أهل زمانهم  
انفكت جامعتهم ، وتفرقت قلوبهم ، وهنالك فلا عز ولا  
مُكنة ، حيث يسلط الله عليهم عدوهم ، وينزع المهابة  
عنهم .

نسأل الله تعالى أن يمنحنا الأدب في جانب أوليائه رضى  
الله عنهم ، وأن يوفقنا للاهتمام بهديهم ، ويعلق قلوبنا  
بمحبتهم ، ليسلكوا بنا طريق الله القويم ، وصراطه المستقيم .

## الباب الرابع

### أساس الطريق

### أولا : تحصيل العلم

العلم في الكتاب :

أول واجب ينبغي على من أراد السلوك في طريق الله تعالى تحصيل العلم ، إذ هو أساس العقيدة ، وروح العبادة ، ومعلم الأخلاق ، والرائد في المعاملات ، وهذه الأربعة هي أصول الدين . ذكر الله تعالى العلم في مواضع كثيرة من القرآن الكريم ، تنبئ عن شرفه وتعظيمه ، ورفع سبحانه قدر العلماء حتى عطفهم على نفسه ، وخصهم بخشيته والتعقل عنه ، فقال سبحانه : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ <sup>(١)</sup> وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ <sup>(٢)</sup> وقال عز وجل : ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ <sup>(٣)</sup> وقال جل شأنه : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ <sup>(٤)</sup> .

(١) سورة النكبات آية ٤٣ .

(١) سورة آل عمران آية ٧ .

(٤) سورة الزمر آية ٩ .

(٢) سورة فاطر آية ٢٨ .



## العلم في الحديث:

وكذلك حثنا رسول الله ﷺ على طلب العلم ، حتى جعله فريضة على كل مسلم ومسلمة ، وذكر في تعظيمه وبيان قدره أحاديث كثيرة نكتفى منها بهذا القدر :

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ( مَا عُبِدَ اللَّهُ بِأَفْضَلِ مِنْ فَقْهِ فِي دِينِ اللَّهِ ، وَلَفَقِيَّةٍ وَاحِدَةٍ أَشَدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ ، وَلِكُلِّ شَيْءٍ عِمَادٌ وَعِمَادُ الدِّينِ الْفَقْهُ ) ، وعن معاوية رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ( تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ فَإِنَّ تَعَلُّمَهُ لِلَّهِ خَشْيَةٌ ، وَطَلَبُهُ عِبَادَةٌ ، وَمَذَاكِرَتُهُ تَسْبِيحٌ ، وَالْبَحْثُ عَنْهُ جِهَادٌ ، وَتَعْلِيمُهُ لِمَنْ لَا يَعْلَمُهُ صَدَقَةٌ ، وَبَذْلُهُ لِأَهْلِهِ قَرَبَةٌ ، لِأَنَّهُ مَعَالِمُ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ ، وَمَنَارُ سَبِيلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَهُوَ الْأَنْيَسُ فِي الْوَحْشَةِ ، وَالصَّاحِبُ فِي الْغُرْبَةِ ، وَالْمُحَدِّثُ فِي الْخُلُوعِ ، وَالِدَلِيلُ عَلَى السَّرَائِ وَالضَّرَائِ وَالسَّلَاحُ عَلَى الْأَعْدَاءِ ، وَالزَّيْنُ عِنْدَ الْأَخْلَاءِ ، يَرْفَعُ اللَّهُ بِهِ أَقْوَامًا ، فَيَجْعَلُهُمْ فِي الْخَيْرِ قَادَةً وَأُئِمَّةً ، تُقْتَفَى آثَارُهُمْ ، وَيُقْتَدَى بِفِعَالِهِمْ ، وَيُنْتَهَى إِلَى رَأْيِهِمْ ، تَرْغَبُ الْمَلَائِكَةُ فِي خَلَّتِهِمْ ، وَبَأْجَانِحَتِهَا

تمسحهم ، يستغفر لهم كل رطبٍ ويابسٍ ، حتى  
 حيتان البحر وهوامه ، وسباع البر وأنعامه ، لأنَّ  
 العلم حياة القلوب من الجهل ، ومصاييح الإبصار  
 من الظلم ، يبلغ العبد به منازل الأخيار ،  
 والدرجات العلا في الدنيا والآخرة ، والتفكر فيه  
 يعدل القيام ، به توصل الأرحام ، وبه يعرف  
 الحلال والحرام ، وهو إمام العمل ، والعمل تابعه ،  
 يلهمه السعداء ، ويحرمه الأشقياء ) .

من ذلك تعلم أن تحصيل العلم أساس السلوك في طريق  
 الله تعالى ، إذ هو النور الذي يهدي إلى الرشد ، ويكشف  
 للمسالك عما قد يعترض طريقه من عقبات ومهاوٍ .

ما المقصود بالعلم ؟ :

ولسنا نقصد بالعلم تلك القشور التي أضاع فيها العلماء  
 أعمارهم ، وهم لا يزدادون بها إلا بعدا عن الله تعالى ،  
 ومسارة فين حكم القرآن بالكفر على من وادهم ، أو تزلفا  
 لأصحاب الجاه والناسب ، رضا بالحياة الدنيا واطمئنانا  
 بها .

ولانقصد علوم المادة والفلسفة الخرافية ، التي أضلت  
 أهلها ، وجعلتهم يتخذون المادة إلهاً معبوداً ، ويكفرون

بالله ، ويحقرون دينه ، فإن هؤلاء هؤلاء حكم عليهم القرآن بقوله تعالى : ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾<sup>(١)</sup> .

وإنما نقصد بالعلم ، علم المعرفة بالله تعالى ، الذى يهدى القلوب إلى معرفته ، والعقول إلى توحيده ، والأرواح إلى محبته ، والأجسام إلى الفناء فى عبادته والقيام بأمره ، فذلك هو العلم المفروض على المؤمنين جميعا ، لأنه قوام العقيدة ، وروح الإيمان ، ومن حُرِّمه أو أهمل فى طلبه فقد حُرِّم السعادة والخير .

### العالم الربانى يهدى إلى الطريق :

ولن يستطيع السالك أن يخطو فى طريق الله تعالى خطوة ؛ إلا على يد عالم ربانى ، منحه الله علم المعرفة به ، وكشفه بأسرار حكته ، وبدائع قدرته ، حتى أصبح دالاً به عليه ، واقتدر على بيان الحقائق بلسان الحكمة المؤثرة على النفوس .

أما أولئك الجهلاء ، الذين يظنون أن السلوك إلى الله تعالى بالعبادة والعمل - دون العلم - فهم محجوبون ، ناكبون

---

(١) سورة الروم آية ٧ .

عن الطريق ، لأن العمل من غير علم المعرفة يجعل القلب قاسياً ، والقلب القاسى بعيد عن الله تعالى ، ولو عَبَدَ الله ألف سنة ، قال رسول الله ﷺ : ( فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم )<sup>(١)</sup> وقال عليه الصلاة والسلام : ( قليل العلم خير من كثير العبادة ) .

فعليك أيها السالك أن تسعى إلى العالم الرباني ، لتتلقى منه علم المعرفة بربك ، بعد أن تعرف نفسك ، حتى ينتهى بك السلوك إلى الوصول .

## ثانياً : العمل بالعلم

### العلم وسيلة للعمل :

العلم مقصد عظيم ، وكل ماسواه من المال والبنين والعافية والزوجة ؛ إنما هو وسائل لتحصيل العلم ، الذى هو المقصد الأعظم . والعلم وسيلة للعمل ، فالعمل بالنسبة للعلم مقصد عظيم ، والعلم له وسيلة . والعمل وسيلة للتقرب من المعلوم جل جلاله ، ولنيل رضوانه . والتقرب ونيل الرضوان مقصدان عظيمان ، ولكنهما وسيلتان لنيل شهود جمال الله تعالى . ونيل شهود جمال الله تعالى فوق العلم والعمل .

---

(١) رواه الترمذى فى سننه .

## ترك العمل بالعلم خسران :

والله جل جلاله لا يمنح ما عنده بمعصيته ، لأنه تعالى غنى عن العالمين ، فالعمل بلا علم لا يُرفع ، والعلم بلا عمل لا ينفع ، والعمل والعلم بلا إخلاص لا يُقبلان ، والعالم إذا ترك العمل خاب فيه الأمل ، لأنه قدوة العالم ومحل نظرهم ، ومن علامات بغض الله تعالى للعلماء بالأحكام وبالدنيا وسياساتها أن يتركوا عمل القلوب ، ويتهاونوا بعمل الجوارح ، فتكون قلوبهم محلا للحسد والحلم الشيطانية ، والحلم البنيية ، يتقربون بما حصلوه إلى الظلمة ، والملوك - ولو كانوا كفاراً - ويستعينون به عندهم على نيل الخير العاجل .

وقد يكون العلم بالدنيا - لدى العلماء بالدنيا - سببا في سلب الإيمان - نعوذ بالله - لأنهم يعينون أهل القوة والمال والسلطان ، ولأنهم يخسّون لهم أعمالهم ، ولا يخافون الله فيهم ، ويخافونهم . فإذا هم الظالم بعمل يخالف الله ورسوله : أعانوه عليه خوفاً منه ، ولم يخافوا من الله تعالى . أقول : يُسلب بهذا العلم الإيمان من العالم بالدنيا ؛ لأنه ينسى نفسه ، ويعتقد أنه عالم ، والعالم في الحقيقة هو الله ، وكل من سواه متعلم منه سبحانه ، فإذا نسي العالم نفسه ؛ وحكم

لنفسه بالعلم ؛ نسي الله تعالى ، قال الله تعالى : ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ ﴾ (١)

إذا خاف العالم من الموت ونسى يوم القيامة وسارع في أعداء الله تعالى قائلا : نخشى أن تصيبنا دائرة ، واقتدي به العالم في هذا العلم ضلّ وأضلّ ، فكان كالمرض المعدي ، وكان علمه شرا عليه . أعاذنا الله تعالى من مرض أهلك إبليس فظن لعلمه أنه خير من غيره وخالف أمر ربه . أما العلم بالله تعالى وبآيame وبأحكامه وبحكمة أحكامه فهو العلم الذي يهبه الله تعالى لمن يشاء من أحبائه وهو العلم الذي ينفع الله به عباده .

العالم الذي يعمل بعلمه :

وهذا العالم لا يخالف علمه مادام مؤيدا بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، وعمله نجاة العالم أجمع ، لأنه يعمل بعلمه عمل القلوب فيما بينه وبين ربه ، ويعمل بعلمه عمل الأجسام مخلصا لله تعالى أمام إخوانه ، فيكون له المقام العلى عند الله بعمل قلبه ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ (٢) . صاحب القلب المتقلب فيما يقربه من الله تعالى ، وصاحب البصيرة المشاهدة لآيات الله تعالى فوق العالم العامل بحسبه لا بقلبه ،

(١) سورة الحشر آية ١٩ .

(٢) سورة ق آية ٣٧ .

لأنه عمل بقلبه عملاً قربه من الله تعالى ، وعمل بجسمه عملاً  
أناله الله تعالى به فضله ورضاه ، ونفع به أهل عصره ، كما  
قال سبحانه : ﴿ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ <sup>(١)</sup> .

العمل بحكم ما أنزل الله :

الأساس الذي أسس عليه أئمة أهل المجاهدة طريقهم هو  
أساس واحد . وهو أن الحاكم هو الله ، والحكم له سبحانه  
وتعالى ﴿ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ <sup>(٢)</sup>

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ  
فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ <sup>(٣)</sup> .

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ  
فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ <sup>(٤)</sup> .

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ  
فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ .

وحكم الله هو كتاب الله وكلام رسول الله ﷺ ، لأن

(١) سورة الفرقان آية ٧٤ .

(٢) سورة يوسف آية ٤٠ .

(٣) سورة المائدة آية ٤٥ .

(٤) سورة المائدة آية ٤٧ .

(٥) سورة المائدة آية ٤٦ .

كلام رسول الله ﷺ هو حكم الله تعالى ﴿ وَمَا آتَاكُمُ  
الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَأَنْتَهُوا ﴾ (١) .

حكم من حكم الذوق والحال والوجد :

وقد جهل بعض الناس ممن لاعلم لهم بالطريق ، فظنوا  
أن أهل الطريق يُحْكَمُونَ الذوق والحال والوجد ولو خالفوا  
في ذلك الشريعة . ومن يعتقد ذلك في أهل الطريق فقد  
جهل مبادئهم ، ومن جهل شيئا عاداه ، فإن الذوق قبس  
من نور اليقين ، أى : هو فوق العلم . والحال ظهور أنوار  
اليقين على السالك المخلص حتى يكون متجملا بجمال أهل  
الحشية والخوف من الله تعالى ، والرغبة فيما عنده سبحانه ،  
والوجد حضور بالقلب والسر مع الرب جل جلاله . ولا يمين  
الله بتلك المعانى على من خالفوا حكمه سبحانه ، ومن حكم  
الذوق والحال والوجد وخضع لحكمهم فقد عبّد غير الله ،  
وما عند الله لا ينال بمعصيته .

واجب الوقت :

إذا اتقاد أهل الطريق بذوقهم وحالهم ووجدهم ، فليس  
ذلك اتقيادا لها ، وإنما هو اتقياد لواجب الوقت الذى أوجبه

---

(١) سورة الحشر آية ٧ .



الله على السالك ، مسارعة إلى تنفيذ حكم الله تعالى الذى تلقاه عن الله ، إما صريحا من كتابه العزيز، أو من عمل وكلام رسول الله ﷺ ، وعمل أئمة الهدى من الصحابة والتابعين ، أو استنباطا من الكتاب والسنة ، فإذا اضطر إلى الحكم على أمر ولم يستين له ؛ رفعه إلى أعلم منه ، فإذا خفى عليه نظر بعين المخافة من الله ، وفكر فيه بقلب ملؤه الخشية من الله ، فإذا ظهر فيه مصلحة وخير ، حكم بإباحته ، وإن ظهر له فيه مفسدة ومضرة ، حكم بكراهته . فإن روح الشريعة تقضى بأن كل ما هو خير مباح ، فهم فى ذوقهم وحالهم ووجدهم مقهورون بحكم الله تعالى ، وكل ذوق أو وجد أو حال يخالف حكم الله تعالى يفرون منه ويتبرءون . منه .

ولعلك تنكر قولى : واجب الوقت . فأبين لك هذا الأمر : أخر ﷺ صلاة العصر إلى الغروب فى غزوة من الغزوات وقال : « حبسُونَا عن الصلاةِ الوسطى فمَلَأَ اللهُ قبورَهم نارا » .

وجلس أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فى المسجد يذكر أصحابه بأمر فأخر صلاة العصر ، فقال المؤذن : الصلاة يأمير المؤمنين ، فقال : نحن فى صلاة . فقد يقتضى الوقت

طهارة القلب فيسارعون إلى طهارة القلب ، فإن كل عمل لم يكن صادرا عن قلبٍ مردود .

العلماء بالدنيا الجهلاء بالآخرة :

ولاعجب ، فإن علماء الدنيا أعانوا الظلمة والكفرة على مفاسدهم وأباطيلهم ، وأضلوا العامة بمسارعتهم إلى أعباء الله تعالى ، والمخالفين لسنة نبيه ﷺ ، قال الله تعالى : ﴿ يُحَرِّقُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴾ <sup>(١)</sup> وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُيِّنَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ <sup>(٢)</sup> . هذا لأن جميع العالم يعتقدون أن العلماء هم الأئمة ، وهم النور ، ويقبلون منهم مالا يقبلونه من غيرهم . وهؤلاء ليسوا بعلماء بالله وبأيامه وبأحكامه وبحكمة أحكامه ، ولكنهم علماء بالدنيا ، وبالوجوه التي يحصلونها بها ، قطع حب الدنيا قلوبهم عن مشاهدة الآيات في الكائنات ، وأعمى الحسد والمنافسة في الدنيا وحب الشهرة بها أبصارهم عن السياحه في ملكوت الله ، فعظموا ما حقر الله ، وأهانوا ما عظم الله ، فتراهم أذلاء .

(١) سورة المائدة آية ١٣ .

(٢) سورة آل عمران آية ١٨٧ .

. العلماء بالله :

أما العلماء بالله تعالى ، فإنهم يسارعون إلى مغفرة من ربهم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، فيعمرون الأنفاس بما يحبه الله ، مراقبة لله وخشية من عظمته ، وعلا بما يحبه ويرضاه ، فيهدى الله بهم أهل عصرهم . فالعالم كالنجم المشرق في الليل المظلم ، كما قال ﷺ : « أَكْرِمُوا الْعُلَمَاءَ فَإِنَّهُمْ سُرُجُ الدُّنْيَا وَمَصَابِيحُ الْآخِرَةِ » .

قال الله تعالى : ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ <sup>(٢)</sup> وأهل الخشية قليل ، ومتى أظهر الله رجلا من أهل الخشية عم نور اليقين أهل عصره . وأشر الناس يوم القيامة رجلٌ يبيع دينه بدنياه غيره ، فليتنبه أدعياء العلم ، وليتقوا الله فيما خولهم من العلم بأحكامه سبحانه ، فإن تقوى الله بها نيل العلم بالله ، وصحبة العلماء الربانيين ، قال تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ <sup>(٣)</sup> ومن خاف غير الله أبعد ، ومن طلب الله وجهه ، فدلّه على من يدلّه عليه .

(١) سورة التوبة آية ١٢٢ . (٢) سورة فاطر آية ٢٨ . (٣) سورة البقرة آية ٢٨٢ .

## أهل الطريق يهتدون بهدى السلف الصالح :

إن الله سبحانه وتعالى قد أكرم أهل الطريق بما هو  
كمعجزات أنبياء الله السابقين ، على نبينا وعليهم الصلاة  
والسلام ، والله سبحانه لا يستجيب لمن لم يستجب له ، ولا  
يكرم بأياته من خالف حكمه . فأساس طريقهم رضی  
الله عنهم العمل بحكم الله تعالى ، ومخالفة كل ماخالفه ، حتى  
أنهم يخالفون كشفهم الصريح ، ويرجعون إلى حكم الله  
تعالى ، وأتمتهم أصحاب رسول الله ﷺ . وكان الرجل منهم  
رضی الله عنهم إذا حكم بحكم وظهر له حكم الله تعالى قال :  
أخطأت ، ورجع إلى الحق .

فإنما أهل الطريق أتباع لأصحاب رسول الله ﷺ ،  
ومقتدون بهديهم رضی الله عنهم جميعا . وكيف يتخيل  
متخيل أن قوما أقبلوا على الله تعالى بالكلية ؛ يعتقدون أنهم  
غير معصومين ؛ يحكمون ذوقهم وحالهم ووجدهم ويتركون  
حكم الله تعالى ؟ ! والحق فوق الخلق عند غيرهم ، فكيف  
عندهم ؟ فهم مع الحق ، وإن شهدهم من جهل حالهم  
مخالفين ، ولذلك فإنك تراهم يطيعون فقيرا مسكينا ، وتذل  
له نفوسهم الكبيرة ، وتخشاه قلوبهم ، ويبذلون له نفوسهم  
ونفائسهم ، ويعادون لأجله الملوك والجبابرة ، ماذلك إلا  
لأنهم أحبوا أهل الحق ولو كانوا أذلاء فقراء مهانين مردولين

في أعين الناس ، ولو أنهم لم يكن الحق مقصدهم الأول لما  
أذلوا أنفسهم العزيزة لفقير مسكين ، سمعوا منه الحكمة ،  
وقفهوا عنه العظة ، وتعلموا منه الخشية من الله ، وكَم من  
سيد في قومه عزيز في سِرِّه ذل لفقير مسكين !! واتخذ  
سيدا وإماما يخدم نعليه ، ويذل بين يديه ، ويسمع له  
ويطيع ، مع أن الملوك تسترضيه فلا يرضى عنهم ،  
وما ذلك إلا للحق سبحانه .

## ما اختلاف الطريق ؟

قال رضى الله عنه وأرضاه :

مَا اخْتِلَافُ الطَّرِيقِ وَالْقَصْدُ وَاحِدٌ  
وَالصِّرَاطُ السَّوِيُّ لِلْمُتَوَاجِدِ  
ذَا لِأَنَّ النُّفُوسَ مُخْتَلِفَاتٌ  
كُلُّ نَفْسٍ لَهَا سَبِيلٌ وَشَاهِدٌ  
وَالرِّجَالُ الْأَفْرَادُ فَوْقَ صِرَاطٍ  
بَدِئُهُ الْكَشْفُ لِلْمَرَادِ الْوَاجِدِ  
مِنْ ( أَلَسْتُ ) شَرِبُوا طَهُورًا مُدَارًا  
أَسْكَرَتْهُمْ لَمْ يُلْقِئَتْهُمْ مَعَانِدِ  
أَفْرَدُوا اللَّهَ بِالْيَقِينِ وَفَرَّوْا  
مِنْ سِوَاهُ إِلَيْهِ وَالْفَضْلُ وَارِدِ  
مَنْ لَدَى الْبَدءِ وَوَجَّهُوا بِجِالِ  
يَجْذِبُ الرُّوحَ لِلْوَلِيِّ الْوَاحِدِ  
وَاخْتِلَافُ الطَّرِيقِ فِي السَّيْرِ يُنْبِئُ  
بِاخْتِلَافِ النُّفُوسِ بَلْ وَالْمَوَارِدِ  
وَالْمَرَادُ الْمَحْبُوبُ أَفْرَدَ بِالْقَصْدِ  
عَلِيًّا هُوَ الْإِلَهَ الْوَاحِدِ  
وَالنُّفُوسُ الْقَرَضَى تَسِيرُ الْمَوْئِنَا  
لِلْأَيَادِ أَوْ لِلْعَطَا وَالْمَوَائِدِ

أو لأجرٍ تسعى ونيلِ حظوظٍ  
 في جنانِ النعيمِ بين الولائدِ  
 بين باكٍ من خوفِ نارٍ وراجٍ  
 جنةَ الخلدِ في غناءٍ يُجاهِدِ  
 بين زهدٍ فيما يزولُ لقصدٍ  
 فوزه بالقبولِ تجده عابدِ  
 ذاك سرَّ التفريدِ والوجهَ قصدي  
 من ( أَلَسْتُ ) وطالبُ الغيرِ جاحِدِ  
 أفردَ المجتَبُونَ وجهاً عليّاً  
 باليقينِ القويِّ محو العوائِدِ  
 شاهدُوا باليقينِ في الكونِ نوراً  
 كان بدءاً يراه كلُّ مُشاهدِ  
 لم تَعَقُّهُمْ عناصرٌ وُحْدُوْدُ  
 كلُّ فردٍ لله بالله عَائِدِ  
 ظلَّلَتْهُمْ أنوارُ شمسِ التَّجَلَّى  
 سَتَرَتْهُمْ عنهم فُبْشَرَى لِضَاعِدِ  
 ناولَتْهُمْ يدُ العنايةِ راحاً  
 أسعدَتْهم بنيلِ كلِّ المقاصِدِ  
 قصدَهم واحدٌ إليه أنابوا  
 بلْ لَهُ أَسْلَمُوا بقلبٍ وَاجِدِ  
 « تم بحمد الله وحسن توفيقه »

## تحذير

لقد مرد البعض على تزييف مؤلفات الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبى العزائم ، بالتغيير والحذف والحشو والإضافة ، كما مردوا مرة أخرى إلى تغيير أسماء كتب الإمام بأسماء تتفق مع أهوائهم ، وإمعانا فى هذا التعدى على الإمام وتراثه العلمى ؛ فقد لجأ هؤلاء إلى بعض الهيئات ودور النشر لطبع هذه المؤلفات ، بصورة تودى بالهدف الذى توخاه الإمام من كتابته ؛ كاختزال عناوين كتبه ، اختزالا خلا يفوت ماأراداه الإمام من جعل عنوان الكتاب تعبيرا صحيحا عما ورد بين دفتيه ، كما حذفت عن عمد مقدمات الكتب الواردة بالطبعات السابقة ، واستعوض عنها مقدمات أخرى . كما أن يد التبديل والحذف والإضافة قد عبثت بصلب هذه المؤلفات عبثا أبسط مايقال عنه أنه تشويه لما كتبه الإمام ، وطمس لآثاره العلمية ، ومنع لوصول مفاهيم معينة أراد لها أن تصل إلى الناس .

﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ <sup>(١)</sup> ۞ .

(١) سورة البقرة آية ٧٩ .



لكل هذا فإننا نحذر القارئ المسلم - على وجه العموم - وإخواننا آل العزائم - على وجه الخصوص - من هؤلاء الذين ضيعوا تراث الإمام ولم يحافظوا عليه ، وصدق الله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمَّنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ <sup>(١)</sup> .

وذلك بعدم قبول أى مؤلف من مؤلفات الإمام إلا إذا كان صادرا من مشيخة السادة العزمية ، وبإذن من سماحة السيد عز الدين ماضى أبى العزائم بصفته شيخا للطريقة العزمية ، والقائم على دعوة جده الإمام ، ونشر تراثه العلمى .

---

(١) سورة فصلت آية ٤٠ .

## الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم

نسبه : سليل آل البيت الطاهرين ، حسنى من جهة والدته ،  
حسينى من جهة والده .

مولده : ولد يوم الإثنين ٢٧ رجب سنة ١٢٨٦ هـ الموافق  
١٨٦٩/١١/٢ م بمسجد سيدى زغلول برشيد .

وظائفه : عمل بالتدريس ، ثم تدرج فى سلك الوظائف حتى صار  
أستاذا للشريعة الإسلامية بكلية غردون بالخرطوم .

إقالاته من وظيفته : كان يرى أن أهم وظائف الرجل الدينى  
الإرشاد والنصيحة للحاكمين ، بل لعامة الناس ، والتحذير من  
الوقوع فى حبائل الإستعمار فأقصاه الحاكم العام الإنكليزى من  
وظيفته فى ١٩ رمضان سنة ١٣٣٣ هـ الموافق ١٩١٥/٨/١ م .

مطالبته بعودة الخلافة : بعد أن قررت الجمعية الوطنية بأنقرة  
فى ١٩٢٤/٣/٢ إلغاء الخلافة الإسلامية ؛ دعا الإمام لتأسيس جماعات  
للخلافة الإسلامية بجميع أنحاء العالم الإسلامى ، وانتُخب رئيساً  
لجمعية الخلافة الإسلامية بمصر فى ١٩٢٤/٣/٢٠ م ، وناب عن شعب  
مصر فى حضور مؤتمر الخلافة الإسلامية الذى انعقد فى مكة المكرمة  
سنة ١٩٢٦ م فى أشهر الحج .

دعوته : أسس جماعة آل العزائم سنة ١٣١١ هـ والطريقة العزيمية  
سنة ١٣٥٣ هـ ومقرها ١١٤ شارع مجلس الشعب بالقاهرة .

مؤلفاته : تذر المكتبة الإسلامية بمئات الكتب من مؤلفاته في التفسير ، والفقه ، وعلم الكلام ، والتصوف ، والفتاوى ، والسيرة ، والمواجد .

انتقاله : انتقل إلى الرفيق الأعلى يوم ٢٧ رجب سنة ١٣٥٦ هـ الموافق ١٩٣٧/١٠/٣ م ودفن بمسجده بشارع مجلس الشعب بالقاهرة .

خليفته الأول : ابنه الأكبر سيدى العارف بالله السيد أحمد ماضى أبو العزائم ، شكل عمرا جديدا لدعوة الإمام ونشر تراثه العلمى ، وانتقل إلى الرفيق الأعلى يوم ٢٠ ربيع الأول سنة ١٣٩٠ هـ الموافق ١٩٧٠/٥/٢٦ م ، ودفن بمسجد والده الإمام بشارع مجلس الشعب .

خليفته القائم : السيد عز الدين ماضى أبو العزائم المحامى بالنقض ، حفيد الإمام ، والإبن الأكبر للخليفة الأول ، وهو شيخ الطريقة العزمية ، وإمام جماعة آل العزائم .

## الفهرس

| الموضوع      | رقم الصفحة |
|--------------|------------|
| الإهداء      | ٣          |
| فاتحة الكتاب | ٤          |

## الباب الأول

|   |    |
|---|----|
| الطريق وآدابه . حكمة الخلق . الإخلاص في العبادة | ١١ |
| بادرة ما يلوح لمن تفكر في نفسه وفيما حوله       | ١٢ |
| التفكر في سوانغ النعم                           | ١٤ |
| العبادة دليل على محبة الله                      | ١٥ |
| الطريق - تعريف الطريق                           | ١٧ |
| الطريق وما أدراك ما الطريق                      | ١٧ |
| كثائف الجهالات على الطريق ؟                     | ١٨ |
| بم ساد أهل الطريق                               | ١٩ |
| منازلات المريدين                                | ٢٠ |
| تفاوت هم المريدين                               | ٢١ |
| أحوال تلك المشاهد                               | ٢٢ |
| آداب الطريق - عم يتخلى القلب وبم يتحلى ؟        | ٢٥ |
| أولا : التزام أحكام الشرع                       | ٢٥ |
| ثانيا : استئصال المعاصي القلبية                 | ٢٦ |
| ١ - الحسد                                       | ٢٦ |

| الموضوع                              | رقم الصفحة |
|--------------------------------------|------------|
| ٢ - الرياء                           | ٢٧         |
| ٣ - العجب                            | ٢٧         |
| دلالة المعاصي القلبية من الحديث      | ٢٨         |
| الجوارح المقابلة لأبواب الجنة والنار | ٣٣         |
| فتح أبواب الجنة                      | ٣٤         |
| فتح أبواب النار                      | ٣٥         |

## الباب الثاني

|  |    |
|--|----|
| مراحل الطريق                             | ٣٦ |
| ما يجب أن يحصله المسافر في طريق الله     | ٣٦ |
| أولا : الاستعداد قبل السير               | ٣٦ |
| ثانيا : أن يحصل فقه الشريعة عقيدة وعبادة | ٣٧ |
| ١ - علم التوحيد                          | ٣٧ |
| ٢ - علم العبادات                         | ٣٨ |
| ثالثا : أن يحصل من القرآن ما يكفيه       | ٣٩ |
| رابعا : أن يجاهد نفسه في ذات الله        | ٤١ |
| الحث على اتباع سنة خير المرسلين          | ٤٣ |
| اتباع السنة واجب لصحة الإسلام            | ٤٣ |
| ما المراد بالسنة ؟                       | ٤٤ |
| فرائض الإيمان وشعبه                      | ٤٥ |
| فرائض الإيمان                            | ٤٥ |

| الموضوع                          | رقم الصفحة |
|----------------------------------|------------|
| شعب الإيمان                      | ٤٦         |
| البحث عن المرشد الدال على الله   | ٤٩         |
| أوصاف المرشد                     | ٥٠         |
| أخذ العهد على المريدين           | ٥١         |
| البيعة في الكتاب والسنة          | ٥١         |
| الجنة وفاء من الله بعهد المؤمنين | ٥٢         |
| كيفية أخذ العهد                  | ٥٥         |

### الباب الثالث

|                                 |    |
|---------------------------------|----|
| أصول الطريق                     | ٥٧ |
| العقيدة - العقيدة هي أصل الأصول | ٥٧ |
| العقيدة في أقوال أئمة الطريق    | ٥٨ |
| المنكرون لأقوال أئمة الطريق     | ٦١ |
| العقيدة هي الحجة                | ٦٤ |
| الطريقة المستقيمة               | ٦٥ |
| الطريقة هي المحجة               | ٦٥ |
| بم تصلح الطريقة ؟               | ٦٦ |
| الشريعة والحقيقة طريق واحد      | ٦٩ |
| أدعاء الطريق وتأويلاتهم         | ٦٩ |
| الرد على هذه التأويلات          | ٧٠ |
| مكائد أدعاء الطريق وحيلهم       | ٧١ |

| الموضوع                                | رقم الصفحة |
|--|------------|
| الرد على هذه المكائد والحيل            | ٧٢         |
| الذين يحصلون علم الشريعة ولا يعملون به | ٧٢         |
| المعرفة بالله تعالى                    | ٧٤         |
| الرضا هو المعرفة بالله تعالى           | ٧٤         |
| حقيقة المعرفة حياة القلب وموت النفس    | ٧٤         |
| مشارب أهل الطريق                       | ٧٥         |

## الباب الرابع

|                                |    |
|--------------------------------|----|
| أساس الطريق                    | ٧٨ |
| أولاً : تحصيل العلم            | ٧٨ |
| العلم في الكتاب                | ٧٨ |
| العلم في الحديث                | ٧٩ |
| ما المقصود بالعلم ؟            | ٨٠ |
| العالم الرباني يهdy إلى الطريق | ٨١ |
| ثانياً : العمل بالعلم          | ٨٢ |
| العلم وسيلة للعمل              | ٨٢ |
| ترك العمل بالعلم خسران         | ٨٣ |
| العالم الذى يعمل بعلمه         | ٨٤ |
| العمل بحكم ما أنزل الله        | ٨٥ |
| حكم من حكم الذوق والحال والوجد | ٨٦ |

| الموضوع                             | رقم الصفحة |
|-------------------------------------|------------|
| واجب الوقت                          | ٨٦         |
| العلماء بالدنيا الجهلاء بالآخرة     | ٨٨         |
| العلماء بالله                       | ٨٩         |
| أهل الطريق يهتدون بهدى السلف الصالح | ٩٠         |
| ما اختلاف الطريق                    | ٩٢         |
| تحذير                               | ٩٤         |
| تعريف بالإمام                       | ٩٦         |







رقم الإيداع ٣٣٣٢  
١٩٨٥



[illegible]